الكتاب المائة والثالث

موسوعة الإيضاحات الاستلزامية

في تنزيه الذات الإلهية

للقس صموئيل مشرقي

الكتاب المائة والثالث

موسوعة
الإيضاحات الإستلزامية
في
تنزيه الذات الإلهية

البيان الشافى لنكسة الفرق المستحدثة وعلاجها

بقلم
القس صموئيل مشرقى رزق
رئيس مجمع كنائس الله الخمسينية

جميع الحقوق محفوظة

صدر عن الكنيسة المركزية للمجمع
في يوليو ٢٠٠٣
يطلب من ٨ ش أحمد باشا كمال بجزيرة بدران
شبرا مصر ت : ٥٧٧٥٦٧٦
ويطلب من هذا المقر وكنائس الله الخمسينية
والمكتبات المسيحية

اسم الكتاب : موسوعة الإيضاحات الاستلزامية في تنزية الذات الإلهية

اسم المؤلف : القس صموئيل مشرقي رزق

اسم المطبعة : اوتو برنت تليفاكس ٥٨٧١٠٠٢

رقم الايداع : ٢٠٠٣/١٥٦٧٧

الإهداء

* إلى كـل مـن يعـرف معني الحرية الصحيحة في نطاق البحث لأجل تمحيص الحقيقة للبلوغ إلى صحة وصدق ما يُعتقد بعيداً عن التحيز المتزمت والتعصب الممقـوت والانحيـاز الاستسـلامي القائم على الاستناد إلى الوراثة والتقليد أو الانسـياق والتعود! وقد يؤدى ذلك الى المساس بما نعتقده نحن المسيحيون فى الله!
* وإلى الذيـن يعـرفون قيمـة الـبحث الحر النزيه فيقدرون بذلك قيمة الجهود المضنية التي تبذل في سبيله وهم متأكدون من أن: "الحقيقة هي بنت البحث"، وأن من ينشدها بإخلاص يزيده الله نوراً على نور!!

أهدى هذا الكتاب

نوراً ومنهاجاً لمن يبتغون الاهتداء

بقـبولهم الحق الكامل دون تجاوز لمحتوياته القويمة بزيادة أو نقص، وبغير توقف عند حدود معينة من نور هذا الإعلان المتفوق، والاكتفاء ببعض الجزئيات على حساب تجاهل الحق المتكامل وعدم الخضوع له والسير مع الشطحات التي لا تتوافق معه!! فان ما لله من تنزيه وتشبيه فائقين لا يمكن أن يرقى لمستواهما علم أو فهم مما يستوجب التعمق فى فهم الاعلان الالهى الوارد عنهما فى الكتاب المقـدس وخاصـة انهما من العقائد المسيحية الجوهرية – ولما كان ايماننا فى اللاهوت المسيحى لا ولن يمس تنزيهه فى أى ناحية من النواحى ولا يسمح بخلط المخـلوقات بمـا فيهـم البشر بالله الخالق فضلا عن احاطة الثالوث الاقدس فى الجوهـر الواحـد والتجسـد والخلق وعلاقة الكنيسة بالمسيح بهالة من الاسرار يسـتحيل على العقل البشرى اختراقها أو العبث بها بأى حال من الأحوال – وكان ذلـك هـو أهم دواعى صدور هذا البحث الفريد لكى يجد فيه ذوى النية المخلصة ضالتهم المنشودة ونسأل منه تعالى التوفيق!

المؤلف

تقديم

لقـد كان يوم الثلاثاء الموافق ١١ فبراير ٢٠٠٣ يوما تاريخياً إذ حضرت فيه خـلوة روحيـة في شبه مؤتمر **تحت أشراف وقيادة "الأخ رمزى مهنى"** لمجموعة تجمعت فيه من السويس ومن بورسعيد والقاهرة في قاعة دير الفرنسسكان بالمقطم.

ونظراً لوصول إعلان عن تلك الدورة فقد حضرها في ذلك اليوم بعض شيوخ وأعضاء الكنيسة المركزية لمجمع الله الخمسيني حيث ظهر في ذلك الاجتماع تبجيل مـا يطلق عليه "الأبوة الروحية" وذلك بالأخص "لمشرف المؤتمر" **إلى حد السجود له وتوجيه كلمات إليه بصيغة المخاطب مما وردت وصفاً للسيد المسيح نفسه مثل** "أنـت سـيدي، وأنت أبرع جمالاً من كل بني البشر" – وكذلك عبارات أخرى مما وردت فـي الكتاب المقدس بصيغة الغائب **وإذ بها تتحول لصيغة المخاطب تحويلاً رومانسـياً في شكل روحاني مثل "أنت عريسي" و"قد بايعتك نفسي يابابا رمزى" وكذلـك كـلام راعوث لنعمى وتصرفها تجاه بوعز وهذا نوع جديد من ممارسات تعتبر دخيلة على المسيحية ويمكن تسميتها "بالرومانسية المتروحنة" بما في ذلك معظـم ما ورد في نشيد الإنشاد الأمر الذي فتح الباب بالضرورة إلى فحص هذه الظاهـرة ووضـعها تحت الأضواء الكاشفة – وخاصة بعد أن وجدنا القس أمين نصـرت يناصـرها ويدافع عنها** رغم الترحيب به هو ومجموعته عندنا... وعند المـتابعة قـد وجدنا أن معظم محتويات هذه الظاهرة تصل إلى المساس باللاهوت المسـيحي – الواجب مراعاته بكل دقة وأمانة من جميع من يهمهم الأمر ويقدرون خطورته!

ولذلك عرضت هذه الظاهرة في اجتماع "اللجنة العامة" لمجمع الله الخمسيني الجلسـة الثالـثة المنعقدة بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٣/٣/٧ تحت البند ثالثاً الفقرة٣ وبعنوان: بحث الأزمة الطارئة نتيجة مؤتمر المقطم

وقـد بدأنا هنا البند بسرد التطورات التي حدثت في أعقاب الظاهرة من قدوم المشـرف سالف الذكر والقس أمين نصرت لمقابلة الراعي رئيس المجمع "القس صموئيل مشرقي" لتبادل الرأي في شأنها وكان ذلك في ظهر يوم الاثنين ٢/١٧/

٢٠٠٣ وتـم الاتفاق في هذه المقابلة على أن يبحث كل طرف منا هذا الموضوع ويتم جمعه معاً بعد ذلك لإثارة الأذهان في جميع جوانبه وذلك بالاحتكام فيه لكلمة الله وحدهـا فهي وحدها الفيصل لكل ما يدلى به البشر أياً تكون مراكزهم الدينية وسواء كانوا من قادة الكنيسة أو من شعبها إذ ما قيمة ذكائهم فى أتى ممن يكون حـتى لو كان بينهم كيرلس الكبير في الكتيب المنسوب له والمعنون "الكنيسة جسد المسيح" لأن ما ورد به انحرافات خطيرة سنبينها فى اماكنها من هذا البحث!!

ومـنعاً من حدوث أي بلبلة في هذا الموضوع الخطير أتفق على الرأي سالف الذكر بوضع البحث الكامل والشامل فيه ... وقد تقرر احترام هذا الرأي وما يتعلق به منعاً من حدوث أي تطورات تستوجب التصادم من أي نوع سواء كان علنيا في حالـة جماعية أو سرياً في حالة فردية وذلك لضمان نزاهة البحث والوصول إلي حالة الحسم فيه بعيداً عن أي شوشرة!!

وقد وعد مؤلف هذا الكتاب بأن يعمل بكل ما في وسعه مستخدماً كل المراجع التي وصلت إليه لإخراج هذا البحث الفريد عن تفرد الله في لاهوته وتنزيهه!!

وفوجئنا بعد أسبوع واحد من الجلسة سالفة الذكر بقدوم القس أمين نصرت في أمسية يوم الجمعة ٢٠٠٣/٣/١٤ ومعه رده في الموضوع وهو يتكون من ملزمة واحـدة – ١٦ صفحة – سلمها لرئيس المجمع وبدأ توزيعها بحسبان أنها وجهة نظـره في الموضوع، ومعها قرار انسحابه بمجموعته من مقر الكنيسة المركزية بعـد قيـامهم بالـتوديع الحبى "للقس صموئيل مشرقى" شخصياً... وحملوه بذلك عـبء وضـع هـذا الكتاب المتميز، وأما هو فقد أعتبر ذلك تكليفاً لـه من الله، ونظـراً لمبدأ حرية الاختيار تُرك للقس أمين نصرت ومجموعته قرار التحول هذا لهـم بحسبان أن ذلك يعنيهم وحدهم إذ ليس لنا ولا لغيرنا ولاية على الضمائر – وسرنا على بركة الله في إنجاز ما تعهدنا به لإقرار الصواب الذي يجب أن نقوله في الله لتجنب الوقوع في حقه... وأننا لنشيد هنا بما ذكره القس أمين نصرت في مقدمة نبذته عن أرسطو تلميذ أفلاطون بقوله عنه: "أفلاطون حبيب إلى نفسي بيد

أن الحقيقة أحب إلي نفسي من أفلاطون" فأننا أولى منه في تطبيقنا لهذا الشعار فى هـذا البحث الفريد وخاصة في مجال خطر كهذا وذلك تقديراً منا للحق فى ذاته واستحالة التضحية به من جانبنا!! مهما كلفنا ذلك من صعاب وتضحيات!!

ولذلـك فإننا نرجو منه تعالي أن تشملنا رحمته وتهدينا إلى سواء السبيل لأجل احـترام مجـده تعالي وسلامة نفوسنا الأبدية وليت كلمتنا تتفق في تصحيح الحق المسـلم لجميعنا!! وذلك لكوننا نفخر بتسابقنا فى البحث عن الحق الكتابى والتمسك به!

ونظراً لأن **الأخ فوزى تيموثاوس مساعد القس أمين نصرت قد استبقي نفسه للحضـور بجلسة ٢٠٠٣/٤/٤ لأجل المناكفة في مشادات كلامية فقد قدمت لـه الفرصـة لكـتابة مـا لديـه هو الآخر خلال عشرة أيام ولكنه لم يقدم شيئاً مما استوجب بالطبع إنهاء عضويته ووجوده بيننا!!**

وتـم ذلـك بجلسـة ٢٠٠٣/٥/٢ وأننا نستودعهم جميعاً لرعاية الله عساهم يهـتدون بـنور الحق الكامل لضمان خلاصهم!! وقد أثبتنا بالجلسة المشار إليها أسباب انتهاء عضويته عندنا وكذلك تخلى القس امين نصرت عن ارتباطه بنا!!

وجديـر بالذكـر هـنا أن هذه الفرق المستحدثة **قد ظهرت فجأة على مسرح الـتاريخ في أشكال متعددة من بينها ما حملت أسماء مثل: "العائلة المقدسة" اسم لجماعـة "رمـزي مهني" وجماعة أمين نصرت ونداء الملكوت والكتاب والتلمذة المفـتوح والزواج الأفضل ومؤسسة أثناسيوس وجماعة العهد الجديد بأسيوط..** وهلم جرا.

وهـؤلاء جميعـاً وربمـا معهم غيرهم – يعتقدون بأن الكنائس المسيحية قد أفلست و انتهى دورها وأنهم هم رسل النهضة الأخيرة وقد يظن من لا يهتم أن لا خطـأ ولا خطورة فيما يعتقدونه ويمارسونه ولكن ذلك هو نفس النمط الذي سارت عليه المذاهب المنحرفة من قبل الذى كتب عنها متخصص هو الشيخ رأفت زكى!!

فـأنهم يسـلكون نفس الدرب الذي سلكته تلك المذاهب وبنفس الادعاء الذي

تدعيه من قبلهم وهو أنهم النور الباهر والحق الكامل وهم جميعهم واهمون في ادعائهم هذا فوآسفاه!!

• •

هذا وقد تتبعنا أمر القس امين نصرت إذ انتقل من عندنا على قاعة الفرنسسكان بالمقطم وكان فى ذلك مشقة فتقدم الى رئيس الكنائس الرسولية ليستأجر قاعة كنيسته بالترعة البولاقية – ونظراً لأنه لم تعد هناك كنيسة حقيقية فى هذا المقر بالمرة بل هى أشبه بقاعة المناسبات أو نادى ليلى وراعيها يؤجرها لمن يرغب فى ذلك كنداء الملكوت وسامية واندراوس والأب دانيال وكل هدفه لاغتنام فرص الحصول على الكسب المادى – فلماذا لا يؤجرها للقس امين نصرت هو الآخر ليزداد الدخل فى كنيسة "بيت التجارة"! وعلى أى حال فليس لديه وهو رمز الرسوليين أى مبادىء اذ قد سبق ان استولى على كنيسة سمالوط الخمسينية كما رحب بالقس عبده بسنتى الذى انتزع الكنيسة باسكندرية من وجودها الخمسينى الشرعى وهكذا دواليك ودون أدنى حساب لرقابة الله وقد أضاف إلى هؤلاء جميعا مجموعة سمير ناصف المفصولة من كنيستها فوآسفاه.

أما الموقف من جهة المدعو "الأستاذ رمزى لوزنر مهنى" فقد ورد عنه فى تقرير الرابطة الإنجيلية بانه يمثل رابطة اتحاد الشباب المسيحى : وهدفها الوصول الى الشباب بمختلف مذاهبه وذلك عن طريق حفلات كرازية وانتاج شرائط مرئية ومسموعة ودعوة خدام دوليين من كل انحاء العالم للخدمة فى مصر واخيرا الشروع فى اصدار جريدة شهرية تعليمية ..." وهكذا اعطته الرابطة المجال الواسع لنشر ما كشفت عنه الاحداث من ظهور مسيحية متوثنة فى شكل رومانسية متروحنة فياللهول ووآسفاه!! ولكن لا غرابة فى هذا الذى يحدث ما دامت هناك نفوسا لا يهمها الحق فى شىء بل انها تبيعه وتتخلى عن التمسك به والرب يقابل ذلك بانه لا يأتمن الحق إلا لمن كانوا امناء وقد اعلن عن ذلك صاحب المزمور بالقول "اعطيت خائفيك راية ترفع لأجل الحق"!!

طريق معرفة الحق الكتابي

"فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت" (٢كو ٤: ١٣).

• تمهيد عن طلب المزيد من العمق والروية :

تـدل التجربة على أن أقوى المغالطات لا تخدع أبداً أصحاب العقل السليم، بل المغالطين أنفسهم الذين يتعمدون فرض الرأي الخاص تحت ستار المناقشات الشكلية **الـتي تحمل إلى المستمعين الوهم بالوصول إلى الحقيقة واكتشافها – وشتان بين قولهـم ذلـك وإدراك الحقيقـة نفسها على الوجه الصحيح**... الأمر الذي يتطلب باسـتمرار المـزيد من العمق والروية: لأن الحقيقة لا يمكن أن تتكشف لنا إلا بعد الدرس العميق مصداقاً للحكمة التي تقول: "**أن المعلومات القليلة تخرج الناس من الديـن والـبحث العميـق يعيدهم إليه**" – ومن المؤكد بحسب الرأي المتواتر: "**أن الإيمـان لا يتعارض مع التفكير العلمي بل يقوم بالاستنارة به وليس للهروب من الواقع أو العبث به بخلطه بأمور دخيلة لا تمت للحقيقة الكتابية بصلة**".. **ومن ثم فـإن الإيمـان الحق يحتم علينا – على كل إنسان منا شخصياً – مواجهة عقائدنا وبحـثها لإدراكهـا على الوجه الصحيح، حتى يكون إيماننا بها على علم ودراية تامة لأجل الوصول إلى الحقيقة والتثبت منها**"...!!

ولذلـك فأننا نحن المسيحيون – كغيرنا – في مسيس الحاجة إلى معرفة أسس البحث والتفسير خاصة لتمسك معظم المفسرين والقياديين بآرائهم بعد إقناع أنفسهم بها مما يستتبعه التعصب المطلق لها...

وقـد أنتج ذلك تضارب في التفاسير من كل وجه مما جعل الكثيرين في حيرة وارتباك من جهة أمرها متسائلين عن أيها هو الصحيح يا ترى!؟

وهذا الأمر قد تطلب كل الجهد من كل باحث مخلص يقوم بالبحث عن الحقيقة لوجه الله فحسب وإعلانها بكافة الطرق المشروعة مهما كلفه ذلك من مجهود شاق

وذلـك بإرسـاء قواعـد الشرح والتفسير على أُسس سليمة وخاصة وأن "الحق الحاضـر" أصبح كاملاً متكاملاً! وأما الالتزام بهذه المبادئ فهو أمر لابد منه لأجل تفسير حقائق الكتاب المقدس على الوجه الصحيح!!

وهـذا مـا يجب أن يتمسك به كل من يبتغي استجلاء الحق المبين، بعيداً عن الاعتداد بالرأي والتعصب المشين!!

هـذا هو الالتزام الذي بدأ في الحقيقة بالتخلص من خرافات العصور الوسطى المظـلمة... **وليـس بذي أهمية قصوى هنا أن يقودنا تفكيرنا للتوصل إلى قانون عـام أو وضـع معين نسعى لفرضه، أو مذهب نتشيع لـه أو لمجموعة نربطها لحسـاب شخصي يتمكن منه من هم مقتدرون على استقطابه فحسب. لأن كل ذلك ليـس مـن أهداف الباحث النزيه!! لأن الوصول إلى الحقيقة وتقريرها إنما يقوم عـلى تـرتيب الأفكار ترتيباً دقيقاً بعد التحقق من استجلاء معانيها وذلك لإيضاح حقيقة مجهولة أو حتى غير معلومة بالكفاية أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة** ... ومـن هـنا وجـب الفحص والتمحيص من جانب كل فرد **بغية الاقتناع التام بحقائق الإعلان الكتابي دون الاستناد بغير وعي إلى ما يقدمه لنا الآخرون** لأن في ذلك توقف عن الوصول إلى الحقيقة وذلك من كل وجه وتعطيل للتفكير السليم!!

• موقف الإيمان الصحيح من الحق :

نعـلم من الواقع المتفق عليه بالإجماع أن "الكتاب المقدس" كان دائماً ولا يزال كـتاب المسيحية الفريد... أنه الدستور الوحيد للمسيحيين على مر العصور وبوجه مطلق – فلم يكن لأي واحد منهم دستور لنفسه يختلف عما لدي الآخر، **بل لقد قبله هـؤلاء جميعـاً مقياسـاً واحداً للحق الأبدي، على أساسه يكون الحكم على كافة العقائد والآراء والتصرفات!**

لأنـه عن طريق وحيه المعصوم جاءت كلمة الله إلينا وإزاء ذلك طوال أجيال التاريخ وقدسه المسيحيون باعتبار أن ما ورد به هو أقوال الله!!

ولقـد كان من الضروري إذاً إجراء المقارنة والتطابق بين محتوياته المدونة

فيه حتى لا تضيع الحقيقة التي قام بإعلانها ولكي لا تدخل فيها إضافات أخرى أياً كـان نوعها أو شكلها وسواء كانت مكتوبة أو منطوقة فقط وذلك احتراماً للمصدر الإلهي الذي صدر منه والسلطة العليا المنوطة به!

ولا شـك أن هـذا يلزمنا أن نعرف الكتاب المقدس ككل، كما يحتم علينا أن نـتعرف على الأجزاء التي يتكون منها هذا الكل، لأن كل جزء فيه يتصل بالآخر فيكمله، وبذلك أمكننا الحصول على الإعلان الإلهي كاملاً، وأصبح بين أيدينا الآن هذا الإعلان الكامل تحت اسم "الحق الحاضر"!!

• معرفة الحق أمر ميسور لكل نفس :

ممـا لا شك فيه أنه بإمكاننا الوصول إلى الحق من تلقاء أنفسنا لأننا جميعنا قد وضـعنا أقدامنا على طريق معرفته **وكلنا نمتلك هذا الطريق حتى وإن كنا لا نريد جميعنا السير فيه بل يفضل البعض الانحراف عنه بتفاسيرهم وتصرفاتهم الخاصة الظاهرة والخفية!!**

ويطـلق على هذه الانحرافات – بحسب لغة الكتاب – البدع وهي كل ما يزيد أو يـنقص عـن الإعـلان الإلهي وذلك عندما يحس البعض بالعجز عن اختراق الحجـب الغيـبية التي بسطها التعاظم الفكرى أو النفسي أو حتى الروحي وغشاها على بصائر من يقبلون ذلك!!

أمـا عـن الحق نفسه فهو عبارة عن الحقائق الثابتة الواجب التسليم بها بدون حاجة إلى إجهاد العقل في تقديم إثبات أو دليل على صحتها – **لأنه هنا بنور الحق تنطـلق العقـول المسـتنيرة مـن عقالها ولا تعود تنخدع بالأشياء المتخالفة أو المتشابكة** – ولذلك فأنها لا تقف عند حد المعني الظاهري الحرفي الذي يتشبث به قـوم ممـن يـريدون تدعيـم رأيهم أياً كان، بل أنها تخترقه إلى المعني الباطني الـروحاني الـذي تستنبطه من الترابط العميق بين كافة النصوص للوصول إلى المعـني الصحيح لحقائق كتاب الله دون عزل لعبارات معينة عن النصوص التي وردت بهـا وإخضـاعها لتفسير خاص لأنه قد يؤدى ذلك في النهاية إلى عكس معناها... وتفكيك روابط الحق المتكامل في كتاب الله!!

وهـذا أمر مستوجب لأجل الوقوف على معالم الاعتقاد الصحيح، ولحمايته من "الهرطقات" التي كانت الكنيسة تصارع ضدها منذ البداية، **فضلاً عن أهمية تفسير الكـتاب المقدس تفسيراً قويماً – في حد ذاته – كضرورة للتعمق في فهم معانيه والحقائق الفائقة التي يشتمل عليها**، وخاصة بعد أن تضاربت التفاسير وأصبحت متاهات، حتى أضحى من العسير تحديد معالم الحقيقة الكتابية لدى مختلف الأفراد **بعد أن ادّعت كل كنيسة – بل وحتى مجموعات الجيوب المنعزلة في نطاق المسيحية.. بأن تفسير كل منها هو التفسير الصحيح – وهو التفسير الواجب القبول، حتى أن هناك بعض القادة البارزين يحسبون ما يقولونه أنه الحق الأكيد وقد يكون في الواقع "ضلالة مقنعة"!!**

وحقاً ما أكثر المشاحنات التي حدثت في نطاق العقيدة المسيحية على مجرى التاريخ بسبب تجميع بعض الآيات من هنا ومن هناك **في محاولة تثبيت فكرة أو عقيدة معينة لفرضها على من يقبلونها بدون فحص أو تمحيص على أساس الادعاء بأنها لا يمكن أن تعني غير ما يفسرونه هم بها** مما يؤدي بطبيعة الحال إلى احتقار آراء الآخرين المخالفة لتفسيرهم ورفض أجراء المقارنات الواجبة في مثل هذه الأحوال **ولكن تفسيرهم هذا لن يكون مدعاة للثقة لدى الذين يريدون أن يفكروا لأنفسهم تفكيراً حراً سليماً دون قبول الانقياد لمثل هذه الآراء المتطرفة والتي كثيراً ما تخلو من المنطق والتفكير السليم لمخالفتها للعقائد الأساسية في المسيحية!**

أما التفسير الصحيح فلا يمكن أن يتم إلا باتباع طرق عقلية نزيهة واستخدام منطق سليم مقنع **حتى يكون التعليم المستقى من كلمة الله تعليماً مشروعاً يستند إلى نصوصها وإلى تفسيرها في المعنى العام الذي يربط بين هذه النصوص بطريقة غير تعسفية وغير خاضعة لأفكار تقليدية موروثة أو بشرية مختلفة** وخاصة لدي الذين يتصورون بأن الله قد منحهم نوراً خاصا جديداً مع أنه قد يكون مخالفاً للمكتوب فيصبح الظلمة بعينها!!

وجوب الوقوف عند حد معلوم في التفسير

"عـالمين هـذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص" (٢بط١: ٢٠)

• موجز عن تاريخ التفسير ومناهجه :

إذا ما أردنا أن نبدأ بتاريخ التفسير فإن نقطة البداية فيه نجدها في أن كل البشر يعتبروا مفسرين، لأن كل فرد منهم إنما هو مفسر لما يسمعه ويخاطب به ومرجع ذلك إلى طبيعة البشر العاقلة ذات الاتصال المباشر...

أما أسس التفسير فقد وضعوا لها خطين أساسيين وهما :-

١- **التفسير الروحي** : وله وسيلتان وهما:

أ- **التفسير المجازى** : وهو البحث عن المعني المختبئ.

ب- **والتفسـير الرمـزي** : وهو البحث عما يمكن أن يوجد من علاقات بين أحداث وأشخاص العهد القديم ومثيلاتها في العهد الجديد...

٢- **التفسـير التاريخي** : ويصفه أصحابه بتفسير "الدفاع التقريري" لأنه يقوم على أسـاس الدفاع عن سلطة وصدق نصوص الكتاب وقانونيتها وإقرارها على النحو الـذي جـاءت فيـه بدون استخدامها في أي نظرية سابقة. **ومن أهم مميزات هذا التفسـير استخدام البحث العلمي الذي يقوم على اليقين والتحليل لدراسة الأشياء كما هي في الواقع للوصول إلى دقة الوصف!!**

ومـن ثم فأن هدف هذا النوع من التفسير هو البحث عن معاني الكلمات بدقة متناهية للوصول إلى تقرير ثابت بشأنها يمكن الدفاع عنه بثبات وتأكيد!!

كما يطلق على هذا التفسير "التفسير التاريخي اللغوي" لأنه يهدف إلى اكتشاف المعـني الدقيق الذي يقصده كتبة الوحي وذلك من الكتب المقدسة نفسها **وهو لذلك يقـبل مطالب الكتاب بدون تعصب أو معارضة وبدون طموح في إثبات صحتها أو العكس!!**

وهنا لنا الحق في القول : "بأنه لن يوجد مفسر معقول يريد عن علم أن يكون متناقضاً مع نفسه أو يسعي لوضع قرائه في حيرة أو في ضلال"!!

وجديـــر بالذكـــر هـــنا أن تفسير الكتب المقدسة قد بدأ – قبل المسيحية – عند معـــلمي اليهود "بالتفسير الحرفي" أي شرح الجمل والمفردات والتعبيرات بصورة مســـتقلة عن مناسبتها التاريخية... وقد أضافوا إليها أيضاً "التقليد الشفوي" وهو "تقليد الشيوخ"...

ولكن المسيح قد تحدى هذا التفسير الحرفي الصارم وكثيراً ما فنده بل رفضه أحياناً... وهذا واضح من أقوال عديدة وردت عنه في الانجيل :

ولكنـــنا وجدنا في القرون الأولي للمسيحية انقسام التفسير إلى "رمزي" اعتنقته مدرسة الإسكندرية، "وحرفي" تمسكت به مدرسة إنطاكية، وكان "أوريجانوس" ممثلاً للتفســـير الأول المجازي.. ثم حاولت المدرسة الغربية الجمع بينهما حتى أن لوثر "زعيم الإصلاح الإنجيلي" قد ربط بين التفسيرين المجازي والحرفي، أما كلفن فزاد على ذلك بالتفسير التاريخي اللغوي!

وأيّـــا يكـــون الموقـــف في هذا الضوء، فإن التفسير الصحيح لأي عقيدة إنما يســـتلزم الإخـــلاص الـــتام الغير مشوب بالتحيز أو التعصب.. وهذا يتطلب ذهناً مفـــتوحاً مـــتحرراً يســـتخلص حقـــائق الكتاب بدقة بعد الدراسة الواعية الشاملة لمضـــمونة الكامل دون حاجة إلى أي استخراجات ينسب إليها نفس سلطة الكتاب ســـواء كـــانت إضـــافات من التقليد أو كتابات زعماء وقادة وكذلك أقوالهم التي يقدســـها اتباعهم كما يقدس المسيحيون عامة الكتاب المقدس.. والعبرة بعد ذلك بإطاعـــة الحـــق المعلن بطريقة عملية جدية تقدم خالصة لله وهي في الواقع أصدق عنوان للإيمان الصحيح!!

• **منشأ وأصل الضلالات "متاهات التفسير" :**

إن حرية التفسير لم تمنع بالطبع تنوعه وظهور طرق ضالة وغبية فيه رغم أن مظهر ذلك الادعاء بالرغبة في اكتشاف كنوز الفكر المختفية في كل كلمة دون

محاولة الوصول لما وراء الشكل الظاهري للنصوص إلى المعني الشامل الذي به لا تكون كلمة الله مقيدة!!

ومن الجهة الأخرى فإن التعصبات والادعاءات المضادة لروح الكتاب المقدس قد أوجدت طرقاً من التفسير تحرف وأحياناً تناقض الحقائق الواضحة فيه – ومثل هذا النوع من التفسير يتجاهل عادة الواقع التاريخي والمعني العام لكلمة الله **بإطلاق كل أنواع التخمينات الخيالية تدخل فيه بدلا من المعني الشرعي المقصود** – ولذلك فقد اعتبرت مثل هذه التفاسير – في نهاية المطاف – خارج دائرة ومبادئ وقوانين التفسير الصحيح!!

ومن بين هذه التفاسير: **"التفسير الأدبي المثالي" لكاتط وهو مثل طريقتي المجاز والرمز تترك كل شئ للاعتقاد الخاص أو خياله وكذلك "التفسير الباطني" وهو الذي يدعي أصحابه الاعتماد على ما يسمونه بإرشاد "النور الداخلي" المفسر وقد أدي ذلك بأن أصبح كل واحد منهم قانوناً لنفسه فمشاعره أو خياله هو نهاية كل مشاحنة – وهذا لا يتفق مع الفكر العام للكتاب ولا مع حكم العقل مما يستدعي الحذر من الأخذ بمثل هذه التفاسير!!**

• شرح طريق التفسير الصحيح :

يشهد واقع تاريخ الكنيسة كيف دعت الحاجة إلى التفكير والبحث في عقائد الإيمان المسيحي للوصول إلى شرح مقبول لها يفسرها وفقاً لآيات الكتاب المقدس بعد تجميعها في نطاق "الموضوع الواحد" للوصول إلى معناها الصحيح – وهذا ما يسمي "بالتفسير الموضوعي" الذي يتطلب جمع ما ورد في الأسفار كلها وتفسيره في ضوء هذه الوحدة الشاملة – ولكن ذلك يتطلب الحذر من طريقة استخراج اقتباسات من الكتاب بعزلونها عن مواضعها لإثبات حقائق معينة حسب تصور خيال من يفعلون ذلك!!

لأنه وأن كانت هذه الآيات صادقة في حد ذاتها – صدق كلمة الله نفسها – إلا أن هذه الطريقة من التفسير غير صحيحة!!

فقد يكون الربط بين هذه المتناثرات أمر مختلق ليس إلا، كما يجب تجنب معنى الآيات الواضحة بتلك التي تعتبر أقل منها وضوحاً، لأن الحق لا يعارض بعضه بعضاً وإنما يوازن فيما بين عناصره وأجزائه ليستخرج من الموازنة "الحق المتكامل"!! وهنا نجد أن الكتاب يفسر نفسه بنفسه فيتضح معناه عند مقابلة أجزائه وكذلك من ملاحظة القرائن فيظهر بذلك التفسير الموافق لوحدة المعني وذلك لمراعاة المعني العام للكتاب كله على أن يتم ما سبق ذكره بنزاهة تامة وبغير تحيز وذلك للوصول إلى المعني الصحيح لحقائقه وذلك باستجلائه من جميع النواحي لا من زاوية واحدة فقط!!

وهذا هو السبيل الوحيد لمعرفة الحق الكامل واكتشافه وعلى ذلك يجب الحذر من دراسة الكتاب المقدس تحت انطباعات معينة لتفسير خاص، كما يلزم بمتابعة المقارنات الرابطة التي تساعدنا على أدراك الحق وفهمه على أساس الربط التام بين أجزائه المتناثرة حتى يتسنى تشكيل العقائد سليمة وفقاً للتعليم الصحيح المعلن صورته في الكتاب المقدس بأكلمه...!!

فان عامل التجزئة في الكتاب المقدس لا يجعل الحق فيه كاملاً بل يعرضه للامتزاج بالضلال- وهذا ما فعله المبتدعون أبد الدهر بتخريج معاني مستحدثة من كلمة الله والخروج بها من معانيها الأصلية إلى أفكار وآراء جديدة تناقض الحق تماماً وذلك بوجه مطلق وفي سائر الأحوال بدون استثناء!!

ومن مزايا هذا الحق المعلن أنه غير متروك ليكون تحت رحمة أفراد معينين أو جماعة ما مهما يكونون – لأن مسئولية كافة الأفراد والجماعات على الإطلاق إنما هي قبول الحق والخضوع له باعتباره الإعلان الآتي من الله نفسه...!!

والذي يجب أن نعلمه هنا أن احتكار "تفسير الكتاب المقدس" ليس مقصوراً على فئة معينة أياً كانت ادعاءاتها – ومن ثم فلا أهمية لتفسير الكتاب في ضوء عقائدها بإعلاء شأن هذه العقائد واعتبارها واجبة الصحة وفرضها فرضاً تعسفياً كما لو كانت لا تقبل الفحص ولا يجوز فيها الامتحان، فهذا أمر باطل، لأن الحكم في صحتها أولاً وأخيراً إنما يرجع فيه لنصوص الكتاب المقدس نفسها!!

الفصل الثالث

بحث في الصورة والشبه والمثال

"نصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١:٢٦)

• وصف للصورة والشبه :

مــن المعلوم أنه وإن كان هناك اختلاف لا ينكر بين كافة الطوائف المسيحية، إلا أن ذلــك لا يعــدو أن يكــون فــي بعض المسائل الفرعية، لكن ليس هناك أي اخــتلاف البــتة في عقائد المسيحية العظمى وخاصة ما يتعلق بالوجود الإلهي أي الثالوث والتجسد وغيرهما، فليس هناك أي اختلاف بالنسبة لعقائدهم فيها فأن اتفاقهم فيهــا إنما هو بالإجماع فيما عدا التخرجات المتطرفة لتأييد البدع والهرطقات التي حذر منها الكتاب المقدس بشدة... سواء قديمها في ذلك أو حديثها!!

ومن ثم كان لابد لنا هنا أن نقدم تعريفاً للصورة والشبه وبأي معنى يمكن أن يكونا بالنسبة لله حتى يتحدد لنا مفهومهما وذلك لمجابهة الادعاء على المسيحيين بأنهم إنما يعبدون إلهاً مرئياً يظنون أنه الله تعالى!!

ولأجــل ذلك لابد أن نذكر اسماً من أسماء الله ما أكثر نسيانه وهو "المصوّر" وقــد ورد في أسفار المزامير وأشعياء وأرميا وهو يعني .. مصوّر الكائنات معطياً لكــل منها الصورة التي ظهرت بها، وإذ الأمر هكذا أفلا يكون من المستغرب أن يكــون هــو نفســه – وهو الخالق المبدع – مبهما لا صورة لــه ولا رسم على الإطلاق كما يقول أهل التنزيه البحت الذين ينكرون أن له صورة ما!؟

ومن هنا فلا جدوى من إنكار أهل التنزيه هذه الحقيقة في الذات الإلهية ونفي رؤيته بتاتاً ومن جميع الوجوه!!

أمــا كون "الألوهية" لها صورة بل وأكثر – بحسب اللاهوت المسيحي – كما جــاءت في متضمنات الكتاب المقدس فإن هذه الصورة عند بحثها نجدها استلزام ضروري من استلزامات وجوده تعالى ويرتبط مع الصورة الشبه لأنهما وردا معاً

عـند ذكـر خلق الإنسان دون المثال الذي لـه شأن آخر سنبينه في مكانه في هذا البحث عندما نأتي اليه!

أما لماذا خلق الإنسان على صورة الله كشبهه فمرجع ذلك إلى تجلى أبن الله فـي "الصورة الشبهية" التي سيخلق عليها الإنسان وهو تجلى قديم أزلي من قبل وجـود المخـلوقات الـتي أودعت صورته فيها، ولذلك فقد ورد في وصف هذه الصورة عن المسيح بأنه: "صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة" (كو ١:١٥).

وكـان ذلـك لابد منه لكي تعرف الخليقة خالقها وتراه وقد ظهر الربط بينها وبيـنه فـي حالـة تجسده الذي أصبح حلقة الاتصال بين الله والناس وهو لذلك الوسيط الوحيد بين الله والناس ومن ثم فلن يكون هناك وسيط آخر معه!!

وأمـا الإنسـان (الـرجل والمرأة كليهما) فأنه قد خلق على صورة الله – وقد وجدنا للقس أمين نصرت في نبذته "الشفاء الداخلي" (ص٧) استطرد بالنسبة لهذه الصـورة بأن خضوع الخلائق إنما تخضع لها وجوبيا وأن عصياتها مع الظروف المحيطة بالإنسان تكسر صورة الله... ومن جهة أخرى أن الرجل مدين لامرأته فـي تحقيق صورة الله هذه وإعلانها لأنها شريكة معه فيها – وهذا كل ما تفضل بـه علينـا فـي شـأن "صـورة الله" التي خلق الإنسان عليها وهو رأى اضافى مستنبط!!

• تعريف بالصورة ومفهومها :

(أ) الصورة الأولى Image وفي اليونانية "مورف" Morph وهي الخاصة بالجوهر الإلهـي: وهـي في اليونانية Idea يعنى فكرة وفي اللاتينية Forma أي "شكل معيـن" – والصـورة فـي مذهب أرسطو هي : حقيقة الشيء التي يقوم بها وجوده ويكون بموجب ذلك الشيء بعينه ولا يكون غيره من الأشياء – وهذه هي الصورة الذاتية لهذا!!

والصـورة تمثل لنا أيضاً شخصاً غير منظور وتجعله منظوراً كما حين تنقش صورة ملك على النقود أو في حالة الوجه المنعكس في المرآة وكذلك في الصور الفوتوغرافية!! فان فى هذه جميعها نرى الشخص غير المرئى مرئياً ...

وصـــورة الشـــيء إذاً فـــي كلـــتا الحالتين هي جوهره الذي يميزه عن سائر الموجـــودات الأخـــرى... وكـــلما ارتقت الكائنات في سلم الوجود زاد نصيبها من الصـــورة المميزة وقل نصيبها من الهيولى المتشابهة وذلك بحسب "قانون الأجناس والأنـــواع" وأعـــلى الوجوديـــات على هذا القياس هو "الله" لأنه صورة محض لا تشـــوبه المادة ولذلك وصفته الفلسفة بأنه "الموجود الحقيقي الوحيد" ومن ثم فقد قـــالت عـــنه بأنه: "واجب الوجود وأساس كل موجود"!! وذلك لأنه "الكلي المطلق" الجـــامع للخواص النوعية لذاته في حال من التعين أي التخصص الذي به تتحقق الشخصية...! وهذا يحقق الوجود الشخصي لذاته وان كان غير منظور!!

فهو سبحانه صاحب الصورة الكاملة السرمدية وهي قائمة بذاته بل هي عين ذاته.. وهذه هي الصورة الجوهرية التي يختص بها وحده وهي صورة وأن كانت تحيط بالزمان والمكان والموجودات ولكنها خارجة من هذه كلها لأن هذه مخلوقة وأمـــا سبحانه فيتميز عنها لكونه خالقها وصاحب الوجود اللانهائي المطلق وهو وجود غير مرئي وغير محاط وغير زمني وغير محدود!!

وهـــذه الصورة الجوهرية بالنسبة لله هي التعين والإبراز لوجود خاص يتميز بـــه الوجـــود الإلهـــي العـــام.. وأما التعين في وجوده الخاص فهو الذي نسميه "الأقـــانيم" أما وجوده الكلي العالم فهو "الجوهر" أي الذات... وقد وصف المسيح بهذه الصورة في القول: أنه "صورة الله غير المنظور"!!

ب- أمـــا الشـــبه Likeness وفي اليونانية "أيكون" Eikon وهي الخاصة بالتجلي الإلهـــي فهـــو المنظر أو الشكل الذي تظهر فيه تلك الصورة الفريدة النوع، ومـــن ثم فأنها إستعلان حضوره وإظهار مجده – وقد وردت هذه اللفظة في ســـفر العـــدد عند حديث موسى معه، وكذلك في المزامير عندما يتحدث عن شبع داود بشبهه عند القيامة، كما وردت عن أيوب في كونه رآها وكذلك في ســـفرى حزقيال ودانيال خاصاً برؤية "ابن الإنسان" – والشبه هنا هو هيئة الشكل وصورته المنظورة وهذه هي الصورة الشبهية التي يختص بها الرب

يسوع أيضاً أنها بحضور الأزلي في الصورة الشبهية قبل خلق العالمين بذلك تسمي بكر جميع الخلائق يؤكد ذلك ورود لفظتي "البكر والصورة معاً" في (كولوسي١:١٥) وهي التي وصف بها السيد المسيح فيما قيل عنه بأنه "صورة الله غير المنظور" بكر كل خليقة (أي جميع الخلائق بأسرها) !!

ج- أما كلمة الهيئة Shape-Fashion فهي الحال التي يكون عليها الشيء سواء في ذلك كان محسوساً أو معقولاً. ويمتد المعنى إلى "شكل الشيء المتعارف عليه سواء كان في المظهر أو الطريقة أو الممارسة" وله معنى آخر وهو: "المظهر الخارجي" أي وجود الشيء على شكل معين وينطبق هذا الوصف على المسيح أيضاً عندما جاء وصفه في القول: "صار في الهيئة كإنسان" وهذه هي الصورة التجسدية حتى لا يكون ظهور الله في الجسد خيالاً أو وهماً كما زعمت الغنوسية – وهذه الصورة يختص بها الرب يسوع أيضاً وهي الصورة التجسدية "الثالثة" وهي في الأصل كاركتر Charakter وتعني الرسم المعبر أي الذي يصف الأخلاق في الصفات المميزة في حالة عرض منظور!! وهي بالنسبة لجوهر الله لا يمكن أن تعرف كقول المسيح : "إنكم لم تروا هيئته"!

- **الصور الثلاث التي لربنا يسوع المسيح :**

أمام هذه الصور الثلاث التي يختص بها ربنا يسوع ويتفرد بها وحده وهي تجعله فريد النوع مما يجعله "الفريد" بلا شبيه أو مثيل أياً يكون... فقد وصف بأنه بهاء مجد الله ورسم جوهره – والرسم هو إبراز معالم الشيء المرسوم– وهو في علم المنطق: تعريف الشيء بخصائصه وهو يتجه مباشرة إلى أقنومه المتحد مع أقنوم الآب في الجوهر.. وقد تأتي الكلمة – كما في "رسم يسوع المسيح أمامكم مصلوباً" بمعنى "التخطيط والعرض" وهما يختصان بالتجسد والصلب!! فضلاً عما رأيناه في وصفه بأنه "رسم جوهر الله" في أنه يعني الصورة الذاتية لله أي الموضحة والمعلنة للجوهر – وفي هذا كله تأكيد بانفراده بهذه الصور!!

فالرسم إذاً بالنسبة للجوهر إنما هو اللاهوت الذي ظهر في الناسوت وذلك لكونه واحد مع الآب في نفس الجوهر ومثله في الأقنومية!!

ولذلك قيل أننا رأينا مجد الله فيه ولكن ذلك ليس في ذاته أي صورته الجوهرية التي لا يمكن أن تُرى لأن الإنسان إذا رآها لا يعيش وإنما جاءتنا الرؤية هنا في وجه يسوع المسيح الذي جاء عنه الوصف في نفس الوقت بأنه ساكن في نور لا يدنى منه وهكذا جمع بين الصورتين الجوهرية والشبهية – ثم ظهر فيما بعد – بالتجسد في الصورة التجسدية فرأينا مجد الله فيه عن طريق التجسد! الذى به ظهر بين الناس وصار مرئيا وهو الغير مرئى فى نفس الوقت!!

وهكذا جمع الابن بين الصورتين الجوهرية والشبهية أي صورة الحق الخاصة بالألوهية وصورة الخلق الخاصة بالخلائق. ولاشك أن ظهور الكمال الإلهي في إطار كمال إنساني هى المثالية المطلقة ونحن نركز وحدتنا وشركتنا هنا فى هذا المظهر المثالى للشركة التي هي شركة القديسين في المسيح!

ولكن هذه الشركة لن تبلغ إلى وحدة اللاهوت قط وإنما هي اتحاد المؤمنين به في القلب والعقل والإحساس والشعور أما وحدة اللاهوت فهي تختص فقط بالله وأقانيمه بحالة مطلقة! لا اشتراك فيها للمخلوقات على الاطلاق!!

• المعنى الشارح لخلق الإنسان على صورة الله كشبهه :

أن أول ما يلفت النظر هنا عند ذكر خلق الإنسان على صورة الله وشبهه **إغفال** كلمة مثال فهي لم ترد مرتبطة "بالصورة" قط ولو أنها شائعة في الأذهان وإنما جاء الربط بين الشبه والصورة فترى ما معني ذلك وما المقصود به!؟

أن جوابنا هنا هو أن الروح القدس مصدر الوحي المعصوم سبق فرأى أن هناك تغيير سيحدث على مجرى التاريخ **باستبدال كلمة "شبه" وإغفالها، ووضع** كلمة "مثال" **مكانها**، وأن هذا الإبدال سينقل أصحابه من معان بسيطة إلى أخرى خطيرة للغاية – أما تلك البسيطة فكانت أن الإنسان خلقه الله على شبهه في نواحي عديدة من صفاته كالبر والقداسة والعقل والخلود مثلاً- **أما تلك التي استحدثت**

وظهـر جانب منها في نبذة القس أمين نصرت "الأمور المتيقنة عندنا" ص٣ في تفسـيره لآية (يوحنا١٧:٢٢) فقد ورد بها ليكونوا (أي مجموعة المؤمنين) واحداً كمـا أننا نحن واحد فهو يقول هنا تفسيرا لكلمة "كما" عن اليونانية بأنها لا تعني مجرد المشابهة بل تعني إلى درجة وصف فعل الوحدة التي بينه وبين الآب.

ويستطرد إلى القول :

• قـد لا يصل إدراكنا لتصور الكيفية التي تكون بها وحدتنا لكن نعرف أنها على مـثال وحدة الآب والابن وهو بذلك قد استبعد كلمة شبه نهائياً ووضع مكانها كـلمة مثال في تفسيره للفظه كما نحن!! لكي تتوافق مع تفسيره الخاص وهو يحاول أن يسند رأيه هذا بأن هذا ما أعلنه ربنا يسوع المسيح بفمه المبارك.. وحقاً أن أمور الله فوق كل إدراك بشرى أسمى من كل تشبيهاتنا.. ثم يتقدم إلى خطـوة أخـرى يربط بها بين وحدة الثالوث والبشر بقوله: "أنه أن كان الكلمة الأزلي قد تجسد أي صار جسداً.. حيث أنه قبل ذلك باختباره أعلن أن طلبته أن يكون تابعيه واحداً... أما اشارته الى تشبيهاتنا فهى عبارة عارضة ولم يقصد بها خلقنا على الصورة الشبهية!!

• ويعقب على هذا كله بالقول :

وكونُـنا نحاول جاهدين أن نعيش هذا الحق.. الخاص بأن نكون كنيسته فأنه اتجـاه إرادي... مسـتنداً في ذلك إلى قول الرسول بطرس (١بط٢:٥) "كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية..." مع أن هذا اجتهاد غير موفق ولكنه يقدمه وهو يقصد بهـذا الإلحاق الخاص بأنه يقوم بمهمة لا يشاركه فيها أحد – وهي تكوين كنيسة – وكأن أحداً سواه لا يقوم بذلك، وهو يتناسى أنه قد كون من حوله مجموعة من أناس هيأ عقولهم لسيطرة فكره عليهم كما وألغي إرادتهم لكي لا يختاروا بإرادتهم الـتي يـسلمح إليها بعبارة (القبول الإرادي) غير ما يختاره لهم حتى إذا ما أمرهم بقطـع علاقاتهم مع أية هيئة كنسية يستجيبون لـه في الحال وقد أصبحوا بذلك مجرد قطاع معزول متدرب على نوع معين من الأعمال والاعتقادات والممارسات بعد أن أقنعهم بأن هذه هي المسيحية المثلى وانهم ليسوا كغيرهم يلعبون "كنيسة"

لأنهم من وجهة نظره هم "الكنيسة" دون خلق الله أجمعين فوآسفاه!!

وبالعودة إلى شرح أقواله فأننا نبدأ بردنا عليه بالقول: "إنها حقاً لجرأة متناهية من جانبه ومن يسير في ركابه في أن يجعل وحدتنا على مثال وحدة الآب والابن وهو يؤكد ذلك في نبذة مجينيات ص٢٦ بالقول: "بأن علاقة الآب بالابن الوحيد هي عين علاقة المسيح بالكنيسة"

ولكنه أوقع نفسه بذلك في حيرة فهو تارة يقول أن هذه الوحدة التي على مثال وحدة الآب والابن بأنها أكثر من المشابهة وأنها تعني في اليونانية فعل الوحدة ويتوقف عند حد قوله "إلى درجة" فلم يعرفنا بهذه الدرجة ومادامت قد تعدت حد المشابهة فلابد أنها تصل إلى المماثلة والمساواة وما الذي يمنع ذلك مادام المسيح قد اتحد بالمؤمنين وامتزج فيهم وهم أيضاً قد امتزجوا فيه لأن هذا الامتزاج هو نوع الوحدة التي يراها بالنسبة لارتباط المؤمنين بالمسيح وهو يقر بذلك في نبذته الوداعية ص٣ أمين يقوم بوصف فعل الوحدة بقوله في معناها أن الرب يطلب في صلاته الشفاعية أن تصل وحدتنا إلى درجة الوحدة التي بينه وبين الآب!!

وهو يأمل أن نجاهد لكي تعيشها جماعته باعتبارها حق مفروض عليهم ولكي يؤكد هذا الذي ذهب إليه فأنه يستعين بالتجسد لكي يرى فيه هذا الاتحاد الذي به يجعل الكنيسة بمثابة جسده الحقيقي (الحرفي) سواء بسواء إذ ما الذي يمنع ذلك لديه بعد أن خلط المؤمنين – وهم مجرد بشر – باللاهوت العظيم المنزه – وعلى سبيل الاحتياط الكلي فأنه يقول: بأن ذلك لن يمس كمال تنزيهه وهذا الكلام كله في مضمونه متناقض بعضه مع البعض مما يفقده أساسه الكتابي بل والقانوني أيضا... ولم يكن يدور بخلده قط أن هذه الاوهام التي يلغها ستواجه التفنيد الحالي!!

وهو يحاول في النهاية أن يوجد لنفسه مخرجاً من هذا المأزق بقوله: "أن أمور الله فوق كل أدراك بشرى أسمى من كل تشبيهاته" و إيراده لكلمة "تشبيهاتنا" هنا إنما فيه العجب العجاب لأنه سبق أن قال بأن وحدتنا التي هي على مثال الثالوث في وحدته أكثر من المشابهة!!

ولكي نقطع عليه خط الرجعة نذكره بكلمات التحدي الإلهي في تنزيه الله على لسان أشعياء النبي والتي تقول إمعاناً بعدم المساس باللاهوت في أص٤٦:٥ ونصه: "بمن تشبهونني وتسووني وتمثلوني لنتشابه" وفي هذا النص نجد بغاية الوضوح منع المشابهة والمساواة والمماثلة عن الله الفريد الذي لا سبيل للدخول إلى لاهوته والنفاذ فيه!! ومن ثم وجب عدم المساس به بالتطفل والدخول فيه!!

وقد اتفق معنا حضرته – وهو اتفاق إجماعي– بأنه ليس كمثل الله شئ!! وقد أوردنا في الفصل السابع من كتابنا "حقيقة الثالوث" تحت عنوان: "بطلان رفض الثالوث لعدم المشابهة" فالمعترضون يقولون بعدم قبول الثالوث لأنه ليس مشابهاً لأي شئ آخر في الوجود – ولكن ذلك مردود لأن وجود الأقانيم في اللاهوت إنما هو استلزام تلقائي يتطلبه الوجود الإلهي بطبيعة الجوهر – وهو ليس مما له مثيل أو نظير في أي من الكائنات الأخرى، وهذا هو التنزيه الصحيح لله في المسيحية!

وهو المنتظر بالنسبة لانعدام المماثلة للذات الإلهية من كل وجه لأن الفرق شاسع بين الذات الإلهية وكافة الخلائق لأن الذات الإلهية ليست كالذوات الأخرى!

وعلى ذلك يسقط الاعتراض على الوحدة الجوهرية التي للثالوث لمخالفتها للمعهود لأنها ضمن سائر الأشياء التي يصح وصفه بها تعالي وهي جميعها بخلاف المعهود وقد قيل في شأنها: "أن الذات الإلهية ليست مثل ذواتنا"!!

وكل هذا يسقط هذا التعليم المستحدث بأن وحدة المؤمنين معاً إنما هي على مثال وحدة الآب والابن، ولا زلنا نتساءل: من أين جاء القس أمين نصرت بهذا التعبير "على مثال" وهو ليس بموجود لا في اللغة الأصلية ولا في الترجمة العربية!؟ فلا شك أنه من بنات أفكاره وقد يكون مرجعه ما أورده كيرلس الكبير في كتابه الذي أشرنا إليه مراراً من "أن الإنسان قد خلق على صورة الثالوث لأن الثالوث هو الذي أصدر الأمر بذلك وذلك لعدم إدراك هؤلاء جميعاً للصورة الشبهية وهي التي للابن والتي خلق عليها البشر أجمعين!!

ولذلك فأن كيرلس يقول بأن روح الإنسان هي التي خلقت على صورة الله وشبهه!! مع أن الإنسان كله هو الذي خُلق على الصورة الشبهية أي التي تجلى

فيها المسيح!! وهكذا تكون شطحات التفسير التى ادخلهم فيها كيرلس الكبير!!

فلعله يراجع نفسه في هذا القول الغريب وكذلك في كل نواحي التطرف الذي سيكشف عنها هذا البحث العميق والشاق والذي بذلنا فيه أقصى الجهد لتأكيد تنزيه الله في المسيحية بموجب ما أعلنت عنه سبحانه بدون تزايد أو تنقيص وذلك من أي وجه أياً كان!! أما عن حقيقة معنى "المثال" والذى اتخذته احدى المذاهب إسما لها وذلك لكون المسيح "مثالنا" وكذلك في ضوء الأمر الإلهي بأن نكون متمثلين بالله (الذي ظهرت صفاته الأدبية كاملة في المسيح) فإنما ذلك من الوجهة الأخلاقية فقط – لا الذاتيـة – وهنا تحاول الصوفية أن تلحق بالمسيحية بقولها: "أن الصوفي هو مـن يتخـلق بـأخلاق الله" ومـن ثم فإن هذه المثالية في المؤمنين بمتابعة ربهم ومخلصهم الأمين إنما هي مثالية نسبية ومتدرجة – وليست بحالة مطلقة – كأننا نماثله من جميع الوجوه حسب قول الذين ينادون بهذا الفكر المتطرف بأن اتحادنا بـه إنما هو امتزاج تام فيما بيننا وبينه مع أننا نتمثل بالله لكوننا أبنائه وهو في الواقـع انعكـاس لحيـاة المسيح فينا روحياً – وليس كامتزاج كياني تام – لأن المماثلة التامة هنا أو الكلية غير واردة كما سبق القول، ونضيف لما سلف ذكره الحقيقـة الآتيـة الواجبة التسليم تحت التساؤل الآتي: أين نحن البشر المحدودين بالنسـبة لما ظهر في سيدنا من الكمالات الإلهية والبشرية بحالة مطلقة لا تعرف حداً ولا نهاية ولا تقبل زيادة ولا نقصان إذ أن لها الحد القصي الذي لا يعرف له حدود أو نهايات!!

ولذلـك ربطت القرائن أمر التمثل بالله باللطف والتسامح!! في حين أن القس أميـن نصـرت جعل وحدتنا على مثال وحدة الآب والابن مع أنه شتان بين تلك الوحـدة اللاهوتيـة السامية في الجوهر الإلهي الواحد وهي فائقة الإدراك وبين وحدة المؤمنين وهي روحية محضة لا وجه لتطابقها مع وحدة الآب والابن!!

أمـا عن النص الآخر والأخير الذي قام بتأويل تفسيره بصورة سيئة أصحاب بدعة يسوع وحده كما سبق أن بينا في كتابنا "الموسوعة اللاهوتية للكشف عن هذه البدعة... وهو الوارد في يوحنا الأولى الإصحاح الثالث.

فإن هذه المجموعات المستحدثة بما في ذلك المجموعة التابعة للقس أمين نصرت التي مرت بنا وذهبت إلى حيث ما اختارته لنفسها فأن أحد معاونيه البارزين شرح العبارة بطريقة أسوأ وذلك بالنسبة للنص الوارد في (رسالة يوحنا الأولى٣:٢) في القول: "أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو". ولم يكن القصد هنا أبداً المماثلة الذاتية المطلقة عندما نراه بحسب تفسيرهم المستحدث والحاوي للتحريف المغوي – فهم ينفون أن يكون ذلك كمجرد المشابهة وإنما يتجاوزون ذلك إلى المماثلة بحسب ظاهر القول وحرفيته أي الامتزاج به في اتحاد تام لسنا ندرى كنهه وليس بإمكان هذا المفسر أن يعلن لنا حقيقته!

أما المشابهة فقد وردت عن مجموع المؤمنين الحقيقيين في (رومية٨:٩)، في القول: "ليكونوا مشابهين صورة ابنه" أما كيفية إتمام ذلك عندما يرونه فنجدها في النص الوارد في (فيلبي٣:٢١) "الذي سيغير شكل جسد تواضعنا (حقارتنا) ليكون على صورة جسد مجده" لأنه لما يأتي ليأخذنا إليه سيتمم لنا هذا التغيير العجيب المنسوب إلى استطاعة قدرته!!

وقد ورد شرحاً مؤسفاً عن نفس التعبير "تكون مثله" لباركلى المفسر المشيخي قوله :

"أن التحرك في صورة الله هو الطريق الذي يوصلنا لنصير مثل المسيح وبذلك يتم وصولنا إلى صورة الله ذاته وهذا الزعم بأننا نصل إلى مشابهة الله عندما نرى المسيح إنما هو تفسير متطرف أيضاً وهو القائل: "ليس مثلك يا رب"!!

وأما نحن فإننا عندما نعود إلى أرض الواقع سنجد من نفس النص أن التغيير الذي سيحصل عليه أبناء الله عندما يرون "المسيح" غير معروف بعد وأنه سيظهر عندما يظهر هو ولذلك فإن معرفة الحالة النهائية التي سنصير عليها مغلقة علينا الآن، ولكننا ونحن لا نعرف لها كنه ولا تحقق من واقعيتها وكيفيته، لأنه لم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكننا نحدد موقفنا بالنسبة لحالتنا القادمة هذه وهى لن تكون امتزاجاً تاماً بالمسيح حتى نتأله بذلك ونصير مثله بالتمام والكمال – على حد قولهم – لأن ذلك تجاوز لحدود المعقول ولا يستسيغه منطق والاسترسال فيه نوع من هرطقة جديدة مرفوضة شكلاً وموضوعاً...

الفصل الرابع

أسرار مستحيل إدراكها بوجه مطلق

"السرائر للرب إلهنا" (تث٢٩:٢٩)
كخدام المسيح وكلاء سرائر الله"
(١كو٤:١)

• الأسرار ظاهرة عامة :

أننا هنا ندخل في نطاق فائق لا يمكن تجاهله ولا تحديه ومع ذلك **فلم نجد في كتابات القس أمين نصرت جميعها أي إشارة إلى هذه الأسرار من قرب أو من بعد** – لعل جميعها تفتحت أمامه **فلم يعد لها مكاناً في تفكيره وتدوينه فيما قام ويقوم به تباعاً "أما نحن الباحثين عن الحقيقة الإلهية وغيرها من الحقائق فإن هذه الأسرار تعنينا بالدرجة الأولى...**

ولاشك أن اضخم مشكلة يواجهها الإنسان إنما هي البحث في هذه الأسرار بأسرها **وخاصة فيما يخص منها الحقائق الإلهية المتصلة بالله، فإن هذه جميعها تفوق كل إدراك وكلام البشر عاجز تماماً عن بلوغ عمقها والتعبير عنه لأن جميعها متصل بالوجود الإلهي اللا متناهي!! وهو الموصوف "بالوجود المطلق"!!**

ومع أن هناك حقائق مفهومة قابلة للإدراك إلا أن هناك حقائق أخرى تفوق الفهم لكونها غامضة كلها أسرار **وعندما يواجهها بعضهم بسمو عبقريته فإن ذلك سيؤدي به حتماً إلى ضلال قد يكون مكشوفاً أو خفياً يحتاج إلى التعمق في البحث للوصول إليه.**

ومع أن هناك أسرار في الكون وفي الطبيعة وفي الإنسان **إلا أن أسمى الأسرار أعلاها شأناً تلك التي تتصل بالله سبحانه وخاصة في اللاهوت المسيحي بالذات!! وهو المتميز عما وصل اليه اصحاب الاديان الأخرى عن الله!!**

هذه الأسرار بجملتها هي ما يشار إليه في (سفر الجامعة٧:٢٤) في القول: **"العميق العميق من يجده؟" ولذلك فإننا قد وجدنا في كل ما يحيط بنا حقائق نؤمن بها لكننا لا نستطيع أن نوضحها أو نشرحها،** مثلاً ما هي الحياة نفسها؟ وما هو

النور؟ وماذا نعرف عن الجاذبية في قوتها للجذب ومسارها في العمل؟ وكيف تسير عمليات التفكير في المخ البشرى؟ وكيف يتحول الطعام الذي نتناوله إلى عظم ولحم وشعر وأسنان...الخ؟

ومن ثم فليس هناك أدنى استغراب عند مواجهة أسرار المسيحية بعد أن ثبت عند التأمل عجزنا عن أدراك سر نشأة الكون والإنسان والزمن بل والحوادث العارضة التي تحيط بنا والتي تتحكم في متغيرات الحياة.. هذه لمحة عن أسرار هذا الوجود **فما بالك "بالإلوهية" المتفردة بالجلال بوجه مطلق، كيف السبيل إلى أدراك شئونها المغلفة بالأسرار** حتى بعد إعلانها فإنها تحتفظ بسريتها بوجه مطلق!؟

• معنى كلمة "سر" نفسها :

وردت هذه الكلمة ٢٨ مرة في الكتاب المقدس بمعاني محددة ليس منها ما أضافه التقليد تحت تسمية "أسرار الكنيسة" ولا ما ذهب إليه شهود يهوه في وصف سر الثالوث بأن معناه "التعقيد والتشويش" **فهذه كلها أوصاف دخيلة على "السر" أما السر فمعناه: "أنه ما لا يمكن معرفة أي شئ عنه بدون إعلان إلهي – وحتى بعد الإعلان عنه لا يمكن أن يصير واضحاً بحالة تامة مما يستحيل معه إخضاعه للإفهام:** ومن ثم فأن المقصود بمعني "السر" هو: "أنه عقيدة كتابية خاصة بالوحي لا نتعلمها من سواه **لأنها أتتنا بإعلان إلهي لعدم إمكانية الوصول إليها بدونه أي عن طريق العقل والمنطق... فلا بلوغ اليها اذا تم تجاهل الاعلان المشار اليه!!**

والحقيقة في هذا الشأن ليست أن "السر" كان غير مفهوم، وأصبح الآن مفهوماً **بل أن حقيقة فهمه والإحاطة به تتجاوز حدود الإدراك البشرى حتى بعد إعلان الوحي له – فإن الغموض لا يزال يكتنفه وذلك بلا حد وبلا نهاية!!**

ومن ثم فإن حقيقة وجود الله وكذلك سائر الكائنات وهي في حكم الأعجاز لا تتوقف على فهمنا لها من عدمه وذلك من كافة الوجوه فإن معرفتنا في هذا المجال لابد أن تقف عند حدود معينة دون إحاطة أو استيعاب...

ولذلك فإننا نبدأ التأمل في هذه الأسرار على الوجه الآتي :

• سر خلق العالم ونشأة الإنسان :

فليس هناك من يعرف كيف تم صنع هذا الكون العجيب بهذا الاتقان الفائق!؟ وليس أحد يعرف كيف دعيت الأجيال وترتبت على مدار الزمن!؟ بل ليس هناك من يعـرف حقيقـة الزمن وماهيته!؟ فضلاً عما في الطبيعة والفلك والعلوم من أسرار تفوق كل إدراك!! وهكذا يجد الانسان في ما يحيط به بل وفي نفسه هذه الاسرار!!

وبالانـتقال إلى نشأة الإنسان نفسه نجد انه ليس بالإمكان معرفة كيفية خلقه ولا كـنه الحيـاة التي فيه – لا سر وجوده ولا سببه ولا الأسرار التي تعمل في داخله إذ ليس هناك من يعرف كنه نفسه وهي من بين جنبيه **مع أنها ذات مخلوقة وهي أقرب الأسرار إليه!!**

وواضـح من ذلك أن الإنسان يعجز عن أدراك أسرار عديدة في الخليقة **وفي كيانـه مـع أنه يعرف ظواهرها وبعض خواصها – فما جدوى محاولات البعض الـنفوذ إلى الأسرار الربانية لترتيب عقائد استعلائية مستحدثة هي أشبه ما يكون بالوقوع في حق الله! بل انها لم تتوقف عند حد الشروع في ذلك بل تم انحرافها!!**

ناهيك عن الدخول في تفاصيل الخلق بالنسبة للعالم وكذلك فيما يختص بالإنسان نفسـه – **فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للوجود المتناهي (أي المحدود) فما بالك بـالوجود الإلهـي المطـلق وهـو اللا متناهي (أي غير المحدود) الذي لا وجه بمقارنـته بأي وجود آخر أياً يكون!!** باعتبار أنه سبحانه لا يخضع لمنطق التفكير البشري ولا كل أنواع التفاسير ولذلك فأنه جل شأنه – **هيهات أن يكيف بأي مفهوم خـاص خارجاً عما قد أعلنه عن ذاته في نطاق هذا الإعلان المتفوق عن وجوده وصفاته ونوع العلاقات معه وفقاً لما هو محدد في ذلك الإعلان وذلك لأنه يختلف عن كل الكائنات بأسرها اختلافاً أساسياً ومن جميع الوجوه!!**

أمـا اعتقاد البعض بأنه كان للبشر وجود سابق – في رحم الغيب – على هيئة مـا يمكن وضعها في إطار محدود هو "عالم الإرادة الإلهية" ثم "عالم الأمر الإلهي"

ثـم "عالم الكينونة" وذلك لأن إرادة الله يصدر بتنفيذها أمره: ولذلك يقول أصحاب هـذا الـرأي بأنـنا كـنا إرادة في الله، وأمراً من لدنه ولسبب الربط بين علم الله ومعـلوماته نجدهـم يقولون أننا كنا حقائق موجودة بصورة ما في العلم الإلهي ثم أشياء في المشيئة الإلهية ثم مرادات في الإرادة ثم بارزات بفعل القدرة...

وكـل هـذا صدي لما ورد في الكتاب المقدس عن "الخلق" وقد بلغ تمامه في (رؤيـا٤:١١) فـي تسبحة السجود لله الخالق وفي ختامها: "لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهي بإرادتك كائنة وخلقت" ولكن سواء كان الخلق في العلم الإلهي" أو في الهيـام الصـوفي" **فإنه لن يجعل البشر أزليون مع الله لهم وجود سابق وإنما كنا عدمـاً كقـول أشعياء في (٤١:٢٤) "ها أنتم من لا شئ وعملكم من العدم" وبغير ذلـك يكـون هـناك ارتـباط للحادث بالأزلي أي المخلوقين بالخالق – وإنما هي محـاولات لربط سائر الموجودات بوجوده تعالى رغم أنه وجود مطلق لا متناهي وشـامل وهذه هي إذاً أول مشكلات الألوهية وهي: مادام لله هنا الوجود المشار فمـن أيـن كان لنا وجود لأن لـه سبحانه الوجود كله، أما نحن البشر فقد كان وجودنـا مـن العـدم، ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين الوجودين الإلهي والبشري والأمر لن يختلف عن هذا الواقع حتى من بعد إتمام الفداء وتقديمه للبشر...!!**

ألا يكـون وجودنا إذاً في حد ذاته لغز من الألغاز هو في حقيقته أول الأسرار الـتي علينـا أن نقر ونعترف به بالإضافة لما سبق ذكره من أسرار مرتبطة بهذا الوجـود الحادث! وكل ما قالته الصوفية عن ذلك يتلخص في عبارة واحدة في هذا المجـال وهي: **"أن الألوهية بطبيعة وجودها المطلق تجمع ما بين القديم والحديث والحـق والخـلق وعدم التغاير في نفس حصول المغايرة وطبعاً هذا سر لا ولن يسـتطيع العقل إدراك حقيقته وليته يوقف المحدثين الجدد عند حدهم إزاء الفارق العظيم بين وجودنا ووجود الله! والذى يتجاهلونه ويتجاوزون حدوده!!**

يؤيـد ذلـك ما جاء في (كورنثوس الأولي١:٢٨) ونصه: **"وإختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود"** – وليس المقصود بذلك أن غير

الموجـــود قد علا كعبهم وارتفعوا على حساب اختيارهم هذا، بل أن شرط دعوتهم واختيارهم إنما هو لكونهم قد اقروا بحالتهم الواقعية هذه (من أنهم عدم ولا شئ) لكـــي يـــبطل الله بذلـــك من يظنون أن لهم وجود وينكرون ذلك الواقع (العدمى) المشـــار إليـــه – وهذا الإبطال بموجب النص كله يعني بحسب ما جاء من بعده – بأنـــه لكـــي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه. حتى كما هو مكتوب من افتخر فليفتخر بالرب!! ومن ثم فانه ليس هناك مكان للمفتخرين بغير الرب والمتعالين بذواتهم!!

• سر الثالوث الأقدس :

جاءت إشارة إلى هذا السر في القول الوارد في (كولوسى٢:٢) "لكل غني يقين الفهـــم **لمعـــرفة سر الله الآب والمسيح**" وكذلك في (كورنثوس الأولي٢:١٠) "**لأن الـــروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله**" وواضح أنه مما ورد في نطاق الإعلان المتكامل عرفنا عن وجود الأقانيم الثلاثة في جوهر واحد وأنهم معاً هم الله الواحد لأن جوهرهم وهو اللاهوت واحد!!

وأن كـــان قد سبق أن رأينا كيف يكون كيانهم **بحسب طبيعة الجوهر وهو مما يدخـــل فـــي نطـــاق الســـرية الفائقة- فكيف بنا نتطاول إلى معرفة سر اللاهوت المتجاوز لكل إدراك من جهة كيفية وجود الثلاثة أقانيم في جوهر واحد وذلك لأنه ســـر مطـــلق ليس بمقدور العقل البشرى فهمه وإنما نحن المسيحيون قد تناولناه بالإيمان بعد أن تحققنا من وروده في الإعلان الإلهي الذي يتضمنه كتاب الله!!**

ومـــن الأقوال المنسوبة لاثناسيوس في دفاعه المجيد عن "الثالوث" قوله: " بأن تعاليم أريوس أدت إلى أمر غير لائق إذ أنه **أذاب التعليم بالثالوث الأقدس ولاشاه وفتح الطريق أمام الاعتقاد بتعدد الآلهة إذ أنه سمح بعبادة المخلوق!!**

واستطرد إلى القول: "بأنه بالرغم من أن أريوس كان يتحدث عن الله **مستخدماً كـــلمات الكتاب المقدس ولكنه أثبت من كل النواحي أنه كافر وذلك لإنكاره "الابن" معتبراً إياه من بين المخلوقات"!!**

• •

أما ما ورد بكتاب "الله" عن "الثالوث" فهو مجرد إعلان للسر وليس إفصاحاً عن ماهيته لعجزنا عن إدراكه مما يستوجب عدم الخوض فيه، **لأن الله الذي أعلنه هو وحده الذي يعرف كيفيته- فكيف يمكننا إذاً أن نعلم ذات الله أو ندركه متجاهلين أنه هو سبحانه كما علم نفسه!؟**

ويقول ديفيد كلارك في هذا الصدد: "يجب أن نميز بين الفهم وبين الاستيعاب فأننا نستطيع أن نعرف الله **دون أن نستوعب كل ما هو الله لأن ذلك فوق طاقة فهمنا" وحيث أنه لا وجه للمقارنة بينه وبيننا نحن البشر، فإن ذلك بحد ذاته يدفعنا إلى احترام "سر اللاهوت"** وكافة الأسرار الأخرى من بعده!! فليس هو بموضوع قائم على الاتساق والعادة بحسب ما زعمه بعضهم عن المسيحيين **لأن هذا ظن بعيد عن الواقع!!**

لأننا قد عرفنا هذا السر بعد أن كشفه لنا الوحي ولم يكن لنا يد فيه واعتبرناه سراً بحسب وصف الكتاب له وهو بهذه المثابة يستوجب إما قبوله بالتسليم والخضوع – باعتباره إعلاناً إلهياً – أو رفضه باعتباره مما لا يروق للمنطق والعقل...

وأما الاعتراض هنا على هذا السر – فهو ليس اعتراضاً علينا نحن ولا هو موجب بالسخرية بنا لأننا لم نخترعه بل أخذناه من كتاب الله وفي هذه الحالة يصبح الاعتراض على الله لا علينا نحن!!

ولذلك فإننا عندما نجئ إلى كنه ذات الله، نجد أن "سر الثالوث" إنما هو سر عميق جداً في المعنى المطلق **مما لا يمكن التجاوز إليه بالاختراق أو الإحاطة أو التبسيط لأنه أسمى الأسرار كلها لأننا فيه نخاطب الله دائما كذات واحد – وذلك بدون مناقضة لكونه ثلاثة أقانيم – علماً بأن ذلك السرمدي غير المحدود صاحب الوجود المطلق هو فوق الكيف وذلك من جميع الوجوه!!**

أما إيماننا نحن المسيحيين بهذا السر فى فحواه **بأنه جوهر واحد مثلث الأقانيم بغير تجزئه ولا تركيب وبدون انقسام أو تعدد، ولذلك فإننا نعتقد بالثلاثة الأقانيم دون أن يكون الله بذلك ثلاثة آلهة وذلك لوحدانية جوهرهم!!**

• سر التجسد الإلهي :

جـــاء عن هذا السر في (تيموثاوس الأولي٣:١٦) القول "**وبالإجماع عظيم هو ســـر الـــتقوى الله ظهـــر في الجسد**" **ولا شك أن التجسد الإلهي هو أروع تجليات "الألوهيـــة" في مجد فائق خاص بها مما جعلنا نؤمن بإمكانية رؤية الله** فبالتجسد أصبح غير المرئي مرئياً وغير المحسوس محسوساً وبقى كما هو غير مرئي وغير محســـوس **وهـــنا تظهر عظمة الله في كونه يجمع بين الأمرين في غير تناقض!! ولذلك قيل في هذا الشأن : "ان الالوهية جمع لمتناقضات متوافقة".**

ولذلـــك فإننا نعلم يقيناً بأن هذا الإله العظيم **قد تجلي في عدة صور استعلانات ثم ظهر في الجسد ورأينا مجده وهو آت بمجد عظيم ستراه كل عين...!**

وهذا ينفي الإدعاء بأن للذات الإلهية البطون دون الظهور لأنه نظراً لوجودها المطلق الشامل توصف "بالباطن والظاهر" **فإذا ما قيل بأنه لا يستطيع أن يظهر – رغم أنه هو الذي أعطي مخلوقاته الظهور يكون ذلك بمثابة نسبة العجز والضعف لله مـــع أنه كلى القدرة ولا يستحيل عليه شئ ولكننا سمعناه يقول: صرت ظاهراً** (رو١٠:٢١) **وذلـــك في المسيح!! ومن ثم فإن الاعتراض على "الظهور الإلهي" ليس في محله... وهو لذلك اعتراض غير مقبول من كل وجه!!**

• •

لقـــد كـــان لله صـــور استعلانات من قبل في الريح والسحاب والزلزلة والنار وغيرها– وكانت مؤقتة – لحين تجسد ابنه الحبيب – **وهذا هو الظهور الإلهي التام وهـــو من أعظم إعلانات المسيحية وقد حقق لنا ظهور الإلوهية في هيئة بشرية بعـــد سابق تجليها في صور متنوعة – فقد تجلي تدريجياً لملائكة ثم للأنبياء إلى أن حل بيننا متجسداً فعلمنا أن ذلك إنما هو "سر التقوى" بالحق وبالفعل – وأصبح "الابـــن" بذلـــك الظهـــور هـــو حلقة الاتصال الوحيدة بين الله المطلق والكائنات المحدودة إذ هو السبيل الوحيد للوصول إلى الله ورؤيته!!**

وهكـــذا يتقبل إيماننا المسيحي الصورة الصحيحة من اللاهوت في تعيين الله

لابـــنه مـــلكاً على المسكونة والشعوب والقديسين، ملكاً فوق الجميع يستحق وحده التعظيم والتكريم!! "لأن من يكرم الابن يكرم الآب أيضا".

• •

وقـــد تحدد إيماننا في "سر التجسد" في إقرار مكتوب هذه صيغته: **"نؤمـــن بأن ابـــن الله الوحيـــد قـــد اتخـــذ ناسوتاً حقيقياً بريئاً من جريرة آدم – روحاً ونفساً وجسداً- بفعل الروح القدس في مريم العذراء.. فصار الكلمة جسداً بغير استحالة أو اخـــتلاط أو تغييـــر، وظهر الله في الجسد متحداً به اتحاداً ذاتياً بغير انحصار، وحـــل كل ملء اللاهوت بصفاته الذاتية وكمالاته الفعلية في المسيح جسدياً الذي اتحـــدت فيـــه الطبيعـــتان والمشيئتان الإلهية والإنسانية اتحاداً أقنومياً في القول والعمل! وهذا هو معنى وحدة الاقنوم وتثنية الطبيعتين فى المسيح!!**

يتضـــح مـــن ذلك إننا لم نجعل إنساناً بشراً إلها بل إننا بالحقيقة نؤمن بأن الله صـــار إنســـاناً حقاً ولم يزل إلهاً حقاً.. **ويقيناً ليس في مقدور إنسان ما مهما يكن شـــأنه أن يـــتأله ولكن الله يقدر بكل تأكيد أن يتأنس – لذلك فإننا لم نقل عن هذا المتجسد أنه إنساناً متألهاً أو إلهياً ولكننا نقول عنه انه "إلهاً متأنسا"..** ومع قبوله لشـــروط الإنسانية وقانونها العام تأكيداً لكمال ناسوته كإنسان كامل إلا أنه من جهة أخرى باعتباره أقنوما إلهياً مساوياً لأبيه نجده معبوداً معه ومع روحه القدوس!!

لذلك فإن في وصفه بصورة الله غير المنظور ورسم جوهره ما يدل بوضوح على أن المسيح عين خاص في اللاهوت أي اقنوم واقنوميته هذه هي التي تميزه فـــي اللاهـــوت وتجعل تجسده ممكناً وكونه رسم جوهره – والجوهر هو الحقيقة غيـــر المـــنظورة وغير المدركة فهو إذاً لاهوت الله وحقيقته ذاته وأما رسم ذلك الجوهـــر فهـــو مـــلء اللاهـــوت الذي حل في المسيح جسدياً متمثلاً في الصورة الشبهية أولاً التي أصبحت تجسدية فيما بعد دون أن تفقد خواص الشبهية!!

فـــإذا كان البشر يتساوون مجازاً مع المسيح في تسميته "ابن الإنسان" فليس معـــني ذلك بأنه لم يعد هناك فرق بيننا وبين المسيح ورغم أن هذه التسمية تؤكد

لـــنا ناسوته الحقيقي ولكنها لا تعني مساواتنا المطلقة بالمسيح وإلا فهل يتساوى البشـــر – سواء كانوا مؤمنين به أو ملحدين – مع المسيح في كونه مساوياً حقاً لله!؟ فـــإذا دلـــنا أحـــد عـــلى شخص غير المسيح لـــه هذه الصفات الإلهية فإننا مستعدون أن نعبده إلهاً لأنه مكتوب : "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"!!

• •

أمـــا عن إتيان الله في الجسد فهو ما شغل الكنيسة أجيالاً عديدة لأجل الوقوف عـــلى حقيقة المسيح حتى لا يبقي مجال لتصوره بخلاف حقيقته : فقد ظهر بعض المعـــلمين ينادون بأن المسيح لم يكن ابن الله الأزلي ولا إنساناً حقيقياً بل هو شبيه بإنسان، فرد عليهم يوحنا الرسول بأن يسوع هو ابن الله الأزلي وأن من ينتكر لذلك فإنمـــا هو ينكر الآب والابن لأن من ينكر الابن ليس لـــه الآب أيضاً ومن يعترف بالابن فله الآب أيضاً (١يو٢:٢٢)

وأما من جهة أنه قد صار إنساناً حقيقياً عند التجسد فقد أعلن نفس الرسول بـــأن عـــدم الاعتراف بإتيان يسوع المسيح في الجسد ضلالة كبرى حسب النص الـــوارد في رسالته الثانية ع٧ وهو: "لأنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد. هذا هو المضل والضد للمسيح" كان هذا القـــول هـــو رد الرسول يوحنا على الغنوسيين الذين أنكروا يسوع المسيح كالابن الأزلـــي وتجســـده أيضا واعتبروه طيفاً أو خيالاً وهو تأكيد لما سبق أن ذكره في الرسالة الأولي٣:٤،٢ مرة بالاعتراف وأخرى بعدمه في عبارة واحدة محددة وهي عن "يسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد"!!

وهـــنا يتبري القس أمين نصرت في نبذته الوداعية إلى القول بأن الكلمة "آتياً" هـــي اســـم فـــاعل من فعل يوناني مبني للمتوسط – **وهذه الصيغة تفيد استمرار الإتيان.. فقد أتي في الجسد ويظل يأتي على الدوام في الكنيسة جسده الحقيقي** – ولا مجـــال الاحـــتجاج بأن الرسول يتحدث هنا عن الغنوسيين الذين ينكرون تجسد الكـــلمة إذ هـــو يستطرد إلى القول : **فالنص يتحدث عن يسوع المسيح.. الإنسان**

يســوع.. فالقول يسوع المسيح اعتراف بإنسانيته أي بتجسده أما القول (آتياً في الجســد) والتي تعلن استمرار إتيان فهو يؤكد إتيانه في الكنيسة جسده.. ألا يعني هذا أنها امتداد تجسده (ص٦)!!

• •

ولا شــك أنــنا نــري هنا مدى المهارة التي يتمتع بها حضرته في التلاعب بالألفــاظ عــلى حســاب استناده إلى معلوماته في اللغة اليونانية والتي قد تدفعه للتفاخر بسببها على غيره وذلك باستخراج المعاني المرسومة في ذهنه الفذ وذلك لمســاندة مبدأ جديد مستحدث ليس له أصل ولا وجود في التشريع الكتابي وإنما سبقه إليه كيرلس الكبير!!

ولمــا أن وصل به الحال إلى اعتبار أن الكنيسة هي امتداد تجسده فأننا نرجئ فحــص هــذا الاعتبار الجديد تماماً في عقائد المسيحية وعلوم تفسيرها إلى الفصل الســابع الخاص "بتحديد وضع الكنيسة بالنسبة للمسيح" وإنما نبدأ ردنا بالقول: "ما الداعي لهذا التناقض الوارد في تفسيره بقوله آتياً تفيد استمرار إتيانه في الكنيسة جســده الحقيقي على حد قوله رغم أنها على الوجه الصحيح ليست سوى جسده السري كما سنرى عند تأملنا في الفصل السابع الذي أشرنا إليه ثم يعود فيقول أن الحديــث إنمــا هو عن يسوع المسيح.. الإنسان يسوع، وهذا اعتراف بإنسانيته أي بتجسده وهو بقصده هذا الوصف بهذا الشكل إنما يطعن في سر التجسد نفسه الذي قررت الكنيسة بالإجماع منذ نشأتها بان اسمه الحقيقي – بسبب التجسد – هو "الإله المــتأنس" كمــا أنه بنفس هذا الوصف قد فصل بين لاهوته وناسوته وأنكر بذلك اتحادهما في اقنومه الواحد بالاتحاد الذاتي!! ولم يكن ذلك صوابا قط من بعد هذا الاتحاد!!

وإنــنا لــنقف متحيرين في أمره وذلك لسبب أن تجسده الفعلي الذي اتحد فيه بجســد حقيقي – وهو وحده الجسد الحقيقي الذي يخصه دون سواه وبغير اشتراك أحد معه فيه قط لأن إيماننا هنا في "سر التجسد الإلهي" يقرر :

"أننا نؤمن بأن جوهر اللاهوت لا تدركه الأبصار ولا تراه العيون ولذلك فإن كلمة الله الأزلي – الأقنوم الثاني – قد أخلى نفسه ونزل من السماء بغير انتقال ولا انفصال وتجسد، فظهر اللاهوت في الناسوت حتى لا تستحيل رؤيته تعالي"

فهل هذا بعينه هو حال الكنيسة التي يطلق عليها حضرته "جسد المسيح الحقيقي"!؟ وهو إنما أجرى هذا الخلط لكي يوهمنا بأن الكنيسة قد حلت محل ذلك الجسد الحقيقي (الحرفي) الذي كان ليسوع المسيح عند تجسده والذي لم ولن ينحل ارتباطه به وإلا فقدنا يسوع المسيح المنظور في ناسوته وانهينا رؤيته وهذا ما فعلته جماعة الأخوة بدون تبصر عندما نادت بأن الابن لن يعيد في الأبدية!!

أما كان الأجدر به أن يتراجع عن هذا الفكر الخبيث الذي يناقضه تماماً وصف تجسد يسوع المسيح بأنه صورة كاملة للذات الإلهية. وقد ورد عنه هذا الوصف **في كتاب "الله" للعقاد صفحة١٥٩** "فجاءه (أي إلى العالم) السيد المسيح بصورة جميلة للذات الإلهية"والصورة الجميلة لابد أن يكون معناها الصورة الكاملة وبالطبع ليس في مقدور البشر ولا الملائكة جميعاً وهم مخلوقات محدودة معرضة للخطأ والزلل أن يأتوا بمثل هذه الصورة، **ولذلك كان من المستحيل تقديم صورة ذاتية لله في أي إنسان ما لم يتجسد الله فيه، لأنه لا يستطيع أحد غير الله أن يعلن ذات الله كما هي بجمالها وكمالها – ولذلك فأنه لم يكن ممكناً للسيد المسيح أن يأتي بصورة ذاتية لله لو لم يكن هو "الله وهو الذي ظهر في الجسد بهذا التجسد وإذ هو وحده الذي أتي بهذه الصورة الجميلة أو الكاملة لذات الله أفلا يكون حقاً إيماننا به بأنه دون سواه "الإله المتأنس"!؟ الذى ظهر اللاهوت فيه بدون استحالة أو تغيير أو انحصار.**

فلا عجب أن بهرت شخصيته الفريدة مؤلف كتاب: "معاً على الطريق" – **وهو غير مسيحي** – فألزمته بأن يقول: **"أن القوة الخارقة التي ظهرت في المسيح كانت قوة نابعة من ذاته، لأن ذاته لم تكن مثل ذواتنا. بل كانت مؤهلة لعظائم الأمور معبأة بطاقات فريدة وهائلة!! ومن المعلوم أن الذي تكون ذاته غير ذواتنا هو الله**

تعـالي، لذلـك وصـفوا ذاتـه سـبحانه بالقول: "أن الذات الإلهية مغايرة لسائر الذوات"!!

أما لماذا انفرد يسوع المسيح بهذا التجسد وانحصر فيه دون امتداد فإنما ذلك لكي يحقق لنا اتصال الله بنا اتصالاً مباشراً ودائماً وذلك عن طريق ظهور الصفات الإلهيـة فـي الصـورة الإنسـانية التي أتخذها، وهذا ما يصفه بسكال الفيلسوف المسيحي بقوله عنه: "أنه اتحاد الله الفعلي بالإنسان في اكمل معاني الإنسانية"...

ويقـر ابـن العـربي ذلك حين يقول: "أن الكائن الذي يطلق عليه اسم الكامل "يـدعى" الله لأنه جمع في عين واحدة الحضرة الإلهية بكل صفاتها – وهذا ما أقره الحـنفاء باعترافهم "بالمتوسط الروحاني" الذي قال عنه دكتور أبو ريدة : "أنه الله في صورة إنسان" (تاريخ الفلسفة في الإسلام ص٢٨٨).

فمـا كـان أجدر بالقس أمين نصرت أن يتعلم ويحافظ على تعاليم المسيحية الأصلية وعقائدها الأساسية السليمة قبل أن يتشدق باللغة اليونانية ليستخرج منها وخاصة لجماعته المسكينة ضلالات ما انزل الله بها في سلطان ويقدمها لهم كأنها الحق الأصيل فوآسفاه!!

لأنـنا قد أثبتنا فيما سلف ذكره أن يسوع المسيح ليس شيئاً آخر أقل من الله ولا غيـر الله ومن ثم فلا يجوز فرض عقيدة دخيلة مستحدثة تجاهر بأن الكنيسة هي امتداد تجسده ليس لأنه لا مكان لهذا الامتداد فحسب بل لأن الكنيسة – وهي مجموعـة المؤمنين به – هم مجرد بشر أدركتهم رحمة الله بالفداء ويستحيل أن يكونـوا كأفراد أو جماعات امتداداً لتجسده – أي استمراراً لهذا التجسد أو اكتمالاً لـه – وهـو لا يحتاج إلى مثل ذلك – مما يؤدى حتماً إلى تأليه البشر وهذا هو الشرك بعينه الذي تبرأ منه المسيحية من قبل ومن بعد!!

أمـا عن كلمة "آتياً" بحسب شرحه لها أياً كان مصدره – فإن هذا الشرح الذي أدى إلى فـرقعة "التجسد" العظيم لإدخال الكنيسة فيه وتأليهها على حسابه ما كان يتطلب مثل هذا التفسير المبتدع الذي ذهب إليه لأن التعليم الكاذب الذي كان منتشراً

فـــي ذلك الوقت إنما كان إنكار حقيقة إتيان المسيح في الجسد وأن كل من لا يثبت في هذا التعليم فليس له الله!! **ومن وجه آخر فإن عبارة : "المسيح آتياً في الجسد" قـــد وردت في ترجمة أخرى "المسيح آتياً إلى الأرض في جسم بشرى"** والرسول يعترف كيرية بحقيقية من لا يعترف بتعليم المسيح أنه جاء في الجسد قائلاً: "أن هذا هو المضل والضد المسيح.. فإن كل من يفعل ذلك هو المضل الذي يبعدنا عن الله والضد للمسيح الذي يحارب المسيح.. **ونعلم من كلمة الله أن ضد المسيح هو الذي أنكر مجيئه الثاني.. أما أولئك الذين ينادون إلى حد ما بشيء من هذه الهرطقات فهم ممهدو الطريق للمسيح الدجال! الذى هو ضد المسيح بعينه!!**

ويذهب باركلى في تفسيره لهذه العبارات كلها إلى القول بأن العبارة الأولى في الرسالة الأولي **تعني في النص اليوناني أن يسوع قد جاء في الجسد واسم الفاعل هنا يرد في الزمن الماضي ولكن في العبارة الثانية في الرسالة الثانية نجد بعض التغيير لأن اسم الفاعل في هذه الفقرة يأتي في المضارع والترجمة الحرفية لـــه تفيـــد أن يســـوع سيأتي وهذا يعتبر أحد المعنيين الآتيين إما أن يسوع يأتي في الجســـد بصـــفة دائمة وأن في التجسد نوعاً من الاستمرارية وليس كأنه حدثاً قد وقع وانتهي أمره ولكنه حقيقة دائمة لا تقتصر على زمن معين لأنه يمثل التدخل الإلهي بصورة دائمة ومستمرة وهذه في الحقيقة فكرة رائعة.. وأما أن تكون هذه العـــبارة "آتيـــاً فـــي الجسد" إشارة إلى مجيء المسيح الثاني وهي بذلك تعني أن المســـيح سوف يأتي ثانية في نفس الجسد وإنما في جسد ممجد كما جاء من قبل فـــي جسد التواضع والاعتقاد بالمجيء قد بدأ في الكنيسة الأولى وهو مستمر بعد كتوقع يمهد لهذا المجيء الثاني!!**

عـــلى أن تشارلس وود يقول بعد ديباجة معينة بأنه ينبغي علينا ألا نركز كل هـــذا الـــتركيز، على أزمنة الأفعال وأن علينا أن نفهم أن يوحنا كان يعتقد نفس الحقيقـــة عـــن مجيء المسيح في الجسد في كلتا العبارتين وأن هؤلاء المضلين يـــنكرون حقيقـــة التجسد ليس إلا – فهل يستفيد من كل هذه الأقوال القس أمين

نصرت أم أن إدخاله الكنيسة في التجسد وأن يسوع المسيح لن يكون آتياً إلا فيها حسب هواه هو كل مرامه وأنها أصبحت لديه من العقائد الثابتة التي بحسب قوله في مقدمة نبذته المعنونة – "الأمور المتيقنة عندنا"- تشكل هويتنا وكياننا ووجودنا... وكيفية تبعيتنا للرب.. وأن لا مساومة على ما نؤمن به وهو يتكلم هنا عن نفسه وبلسان جماعته مصراً ومقدماً على التمسك بما يعتقده ويعلم به حتى لو خالف النظام المسيحي بأسره إذ يكفيه من وجهة نظره التمسك بحرفية النص اليوناني والتفسير الذي يستخرجه منه دون مبالاة بالمعنى العام للعقائد المسيحية الكتابية وبغير اكتراث لمنطق العقل السليم أو الضمير القويم!!

• **سر اقتران المسيح بالكنيسة :**

ورد ذكر هذا السر في رسالة (أفسس أص٥:٣٠-٣٢) ونصه: "لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه. من اجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً.هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة"

أما هذا السر فهو الذي اختص بولس الرسول بالدراية فيه (أف٣:٤) وهو "سر الكنيسة كالجسد الواحد" بأعضائه الكثيرة ويسميه الرسول "سر المسيح" لوحدة الكنيسة فيه وليس لأنه اصبح هو الكنيسة على حد قول بابا ماكس – ولقد كان هذا السر مكتوماً حتى عن أنبياء العهد القديم ولم يعرف به بنو البشر في أجيال أخرى – وبهذا السر تحولت "الجماعة المدعوة" بحسب معنى كلمة "كنيسة" (اكليزيا) في اليونانية إلى "جسد المسيح" وهو الذي بدأ تكوينه "يوم الخمسين" ولا يزال تحت التكوين بإشراف "الروح القدس" نفسه – بعد أن صعد المسيح إلى الأعالي وصار رأس الكنيسة وأرسل الروح القدس ليقوم بتشكيلها على الوجه الصحيح!

ولأن هذا السر عظيم فقد ألقي قدسيته على الزواج المسيحي ولكنه بقي بجوهره ينطبق على المسيح والكنيسة بحسب قول الوحي في وصفه! أنه سر عجيب بلى سر التقوى – أي ظهور الله في الجسد – في الأهمية و لذلك فإنه سر

مـبارك يجب أن نجله ونحترمه ونشغف به رغم أن المسيحية الأسمية قد أزاحت عـنه وأبدلته "بسر الزواج"!! وذلك لعدم تقديرها لـه باعتباره الاستثمار الشرعي الوحيد للفداء والخلاص الأبدي لأنه الكاشف عن أصل وطبيعة ومركز "كنيسة الله" في صلتها بالمسيح وذلك على الوجه الصحيح دون خلط أو مزج أو ذوبان!!

ولذلـك فإن بولس يصفه "بالسر" لأنه استلمه بإعلان عجيب مباشرة من الرب، ولأن الله خـص به "بولس" لذلك فقد دعاه "إنجيلي" خلافاً لإنجيل بطرس الذي كان للختان – وقد أصبح هذا الإنجيل موضوع خدمته وهو لم يتمسك به ليحفظه فقط بل كان المحامي عنه – وذلك لأنه ينفرد به ويعتبر ذلك تعليماً أساسياً في دائرة "الحق الحاضـر"، وهـو الذي ورثته عنه البروتستانتية إذ هو إعلان المساواة بين اليهود والأمم في هذا الجسد!! وهو قائم على فعل النعمة المطلق بغير الطقوس القديمة!!

وواضـح أن الجزء الأوسط من هذا النص وهو "ويكون الاثنان جسداً واحداً" يـتطابق مـع ما جاء في (تكوين٢:٢٤) وأنه يشير إلى الصلة الزوجية منذ نشأتها **وهي صورة لاتحاد الكنيسة بالمسيح تحت استعارة الزواج.. ويصف الرسول هذا الاتحـاد بأنـه "سر عظيم" وهو بذلك لا يقصد "الزواج" في حد ذاته بل يقصد ما تحـدث بـه آدم عنه في قوله:** "هذه عظم من عظمي ولحم من لحمي" **إشارة منذ البدء إلى صـلة الكنيسـة بالمسيح** – وهذا هو السر الذي كان مخفياً فأعلن في المسيح.. **هذا هو السر الأصيل** وأن كان التقليديون قد نقلوه إلى الزواج بأن أحاطوه بهالة من التقديس الخاص زاعمين بذلك حتمية أن يتم أجراؤه على أيدي كهنتهم وألا اعتـبر بـاطلاً وغير شرعي **ولكنه برغم هذا كله باق على ما هو عليه من جهة المسيح والكنيسة تماماً كما ورد بهذا النص الذي يشير إلى هذا السر!!**

ولا شـك أن هذا السر هو الركيزة التي أوجدها الله كمانع للطلاق، أما تطرف الكنيسة التقليدية في اعتبار الزواج هو السر، فإنه تطرف أشرنا إلى أسبابه آنفاً **في حيـن أن حقيقـة هذا السر هو في اقتران الكنيسة مع المسيح**، فكما أن الكنيسة متحدة مع المسيح كواحدة ووحيدة هكذا المرأة مع الرجل وإنما يستلزم ذلك أن تكون

زيجـــتهما عـــلى مستوى هذا السر – أما من جهة الوحدة أي الاتحاد في جسد واحد فاننا سنقف على معناه بعد هنيهة!!

هـــنا دخل بولس إلى سر عظيم تحار فيه العقول : أنه سر عظيم خاص قائم بذاتـــه **هو سر "اتحاد المسيح بالكنيسة"**.. وواضح من كلمة الله أن تكوين "الكنيسة" في العهد الجديد كان سراً مكتوماً في الله لم يعلم به بنو البشر في أجيال أخرى إلى أن أعلـــنه الله بالـــروح لأنـــبيائه في العهد الجديد ودونه لنا الوحي في (أفس٣، ورومية١٦).

وإذ وصـــل إلى ذلـــك وجـــد نفسه في مواجهة آدم وحواء والرجل مع امرأته فاعـــتذر بلـــباقة مستطرداً **وعائداً إلى التمسك بالسر نفسه وهو الذي يدور حول المســـيح والكنيسة: فوصفه بأنه سر عظيم** وكان مكتوماً والآن قد استعلن.. **وهو لذلك قمة أعمال الله على الأرض وغاية البشرية حينما تلتصق بالمسيح لتحيا معه فـــي شـــركة مجـــد الأبد:** وليست الزيجة هنا سوى صورة مصغرة للمسيح متحداً بالكنيســـة فهو النموذج الذي تسعى إليه البشرية وهي راغبة تماماً في الانتهاء عنده لأن الوحـــدة هـــنا بين أطرافه المعنية قوية ومتجانسة ومكتملة ونحن نعيشها الآن بالإيمـــان **ولكـــنها لا تعني الإدماج الكلي الكامل فيما بين المسيح والكنيسة إذ أن الســـر نفسه يضع كل منهما أي المسيح والكنيسة في إطار منفرد بجوار الوحدة الـــتي تـــربطهما** – ولذلك جاء هذا النص في بعض المخطوطات هكذا: "**من أجل المســـيح ومـــن أجل الكنيسة**" وهذا يلفت ذهن القارئ إلى قوة شخصية ودور كل منهما **كرأس وجسد في الزمان الحاضر وعريس وعروس في الأبدية!!**

وهـــذا ما غاب عن المسيحية المذهبية مما نتج عنه التفكك والتباعد الذي نراه اليوم والذي وصل إلى النفور ماعدا شكليات التقارب فيما عدا من يتقبلون الحقائق الكتابية مهما يكن موقف الأغلبية المذهبية منهم!!

وإنمـــا الآن فقـــد جاء الأوان هنا لنكشف عن البدعة التي استخرجت من هذا النص وخاصة القول: "أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه"

وهـنا يستطرد القس أمين نصرت – المفسر الأريب إلى هذا القول الغريب وهو: وأن كنا نتحدث عن إنسانية يسوع المسيح فنحن نتحدث بكيفية غير مباشرة عن جسد كنيسته (ص٣٤ من كتابه أنا والآب واحد) لكونه يعتبرها جسده الحقيقي!

ثم يعود فيقول في نفس الكتاب : "لكن ما الذي جعل منكرى الأقانيم يظنون... بأن الآب هو الابن وهو ظنّ فاسد؟؟ ويقدم جوابه بعد ذلك مباشرة بقوله: **"أظن أن غياب رؤية الكنيسة كجسد متحد على مثال اتحاد الآب والابن... هو واحد من أهم أسباب هذا الخلط في المفاهيم"** (ص٤٤)

ثم يعود فيستعين كعادته باللغة اليونانية وقواعدها التي تتمشي مع تفكيره – حتى لو كان غير سليم – فيقول في صفحة٤ من نبذة رده المعنونة : "الأمور المتيقنة عندنا" **بأن القول: "لأننا أعضاء جسمه هو من فعل الكينونة اليوناني وأن لا مجاز فيه** والمعني كما في الترجمة التي بين أيدينا يبين أننا نحن جسده الحقيقي **حتى أن الوحي يسجل أننا لحم من لحمه وعظم من عظامه!!**

وهـو يتزيد في النص هنا إذ جاء بأننا من لحمه – "من عظامه فقط" – **وهذا التزيد جاء به من تلقاء نفسه تأييداً لما ذهب إليه!!**

ولذلك وجدناه يشيد بما ذهب إليه في تقييم "للكنيسة كجسد المسيح" بقوله في صفحة ١٦ من نبذته "محاولات في الشفاء الداخلي": **"أنني استمد قيمتي... من انتمائي.. لجسد حقيقي للمسيح. فلنقدم الشكر لله أن كنا نعيش جسداً حقيقياً للرب"** بل أنه يقوم بإهداء كتابه: "أنا والآب واحد" إلى أبنائي وبناتي وكل محبي الحق – **إلى كنيستي العروس التي أحيا لها وبها**". بل يهدي نبذته الأخيرة على نفس النمط بقوله : **"إلى كنيستي التي وهبتها عمري ووهبتني كياني أهدى الأمور المتيقنة عندنا التي هي هويتنا" فالكنيسة التي هي عروس المسيح إذاً قد أصبحت كنيسته هو يحيا لها وبها وقد وهبها عمره ووهبته كيانه – وهكذا يحول الكنيسة إلى نفسه ويتحول هو إليها بكل كيانه..** مع أن الواقع السليم لا يدفع أي مؤمن حقيقي

بطلب الكنيسة في حد ذاتها وإنما يكون المطلب الوحيد هو "المسيح" في الكنيسة- ولكن هكذا يكون قلبه الأوضاع لغرض في نفس من يريد ذلك...

فـــلا غـــرابة إذاً في قوله: "على أن المسيح هو ملكوت الله الحي الحقيقي... فتكون كنيسته أنها هي ملكوت الله المعاش" (ص١٩ من نبذته "حول الألف سنة")، كمـــا يشـــير فـــي إحـــدى كـــتاباته شرحاً لسؤال الرب لشاول الطرسوسي "لماذا تضطهدني؟" بأن الرب هنا يضع نفسه في موضع تابعيه.

ثم يعود فيقول: "أن هذا هو امتياز الكنيسة العروس الذي لا يشاركها فيه كائن مـــن كـــان"! وقـــد بلغ القمة في تعظيم الكنيسة لدرجة أن جعل العلاقة بين الآب والابـــن عُرسيّه وهي بذلك تشبه علاقة المسيح بكنيسته!! فيالهول ما ذهب إليه دون حاجـــة إلى تعـــليق مع غرابة من ينهجون نهجه فيرددون أقواله هذه دون وعـــي بانحرافها إذ من أين جاء حضرته بأن العلاقة بين الآب والابن عرسية مع أنها جوهرية!!

أننا وقد جمعنا معظم ما قاله ق. أمين نصرت في صدد علاقة الكنيسة بالمسيح فيما سلف ذكره لتصيبنا الدهشة التامة كيف فاته وأمثاله ومجموعاتهم الفرق الشاسع بيـــن المســـيح وهو الله المتجسد وبين البشر أجمعين بما فيهم كنيسته لأنها بشر ولن يكون أفرادها سوى مجرد بشر- فكيف يتساوي البشريون مع ابن الله الأزلي المبارك!؟

ومـــن المعـــلوم أن الاقـــتراب من هذه الدائرة يتطلب منا الإخلاص والحكمة والوعـــي والانفتاح تجاه نور الإعلان الكامل لكي نستنير به مقرين بأننا لم نعرف "الإلوهيـــة" بعـــد حـــق المعرفة ولذلك فإننا نقف حيارى إزاء هذا الوجود المطلق اللامتـــناهي - فمـــن ذا الذي يستطيع أن يخترقه أو يحيط به أو يصل إلى أدراك شـــامل لـــــه!؟ فان وصف-الله هنا انما يتصف بالعظمة اللامتناهية فهو عظيم ولا ندركه!!

وكيـــف بـــنا نحاول أن نقتحم أسراره... التي تفوق عقولنا بما في ذلك سر

اقـــتران الكنيسة به فإن لـــه في هذه كلها جلالاً مرهباً وكمالاً فائقاً لأنها تختص بكمالـــه الذاتـــي غيـــر المحدود فهو مما لا يحده شئ خارج عنه ولا يشاركه في وجوده أحد إذ هو الكائن الفريد المتميز بالكمال اللامتناهي!!

فهـــو الذي يتميز عن البشر تميزاً مطلقاً بأن لا علة لـــه فهو ليس مما لم يكن واصبح كائناً فإنتقل بذلك من عدم إلى وجود كالبشر!!

• •

نعـــم لقـــد إقترن المسيح بالكنيسة وذلك في "سر" كما سبق الإيضاح ومن ثم يصبح من الطبيعي أن يكون تسمية "الكنيسة" بجسد المسيح "السري" وهذا يعنى أنه جســـد "انتسابي" (له) وأيضاً "تشبيهي"، إثباتاً لسرية علاقتها بالمسيح "الرأس" وهي بهذه المثابة تعني لا امتداد للتجسد **ولا إعلانه بل إظهار المسيح روحياً فيها وعمله بها – وهذا في الواقع "سر عظيم" لا يمكن إدراكه إلا بالفهم الروحي العميق!!**

فمـــن أيـــن إذاً جاء هذا الخلط الذي ظهر في تفسيرات القس أمين نصرت بين إنسانية يسوع المسيح أي جسده الحقيقي (ناسوته) فيقول إننا عندما نتحدث عنه **فأننا نقصد بطريقة غير مباشرة جسمه الكنيسة كما أنه يفسر القول لأننا أعضاء جسمه** بأنـــه مثل الكينونة (اليوناني) ولا مجاز فيه وأنه بحسب الترجمة الحالية **نحن أمام جســـده الحقيقي وهو بذلك قد تفوق على كيرلس الكبير الذي وصف الكنيسة في أحد المرات بأنها جسد المسيح التجميعي الذي ينتسب إليه!!**

فـــلماذا هـــذا الخـــلط المريب والذي لم يرد في المكتوب بين جسده الحقيقي (الناســـوت) وجسده السرى (الكنيسة) وما الداعي لـــه ومن المعلوم المتفق عليه بالإجمـــاع أن جسد المسيح الطبيعي الذي تجسد فيه قد اتحد بلاهوته اتحاداً ذاتياً أبديـــاً ليكون الرابط الفعلي الوحيد بين الله والناس، وأن ذلك الجسد ليس بعد هنا عـــلى الأرض، لكنه في السماء متمجد بمجد عظيم وهو الذي سيأتي به وتراه كل عين عند مجيئه!! ويتابع بابا ماكس امين نصرت بقوله : "ان الكنيسة ليست هى مجموعـــة المؤمـــنين فهذا تعريف خاطىء من البعض ولكن المسيح هو الكنيسة"

وهـو بذلك يخالف الحقيقة الثابتة بان "الكنيسة" هى جسده السرى وهي التي بدأ تكويـنها مـنذ يـوم الخمسين من المؤمنين المعتمدين بالروح القدس الذي يقوم بـربطهم معـاً وجمعهـم إلى جسد واحد في وحدة روحانية مستمرة تحقق لهم ارتباطهم بالمسيح وهم على الأرض إلى حين وصولهم إلى السماء!!

وهـذا هـو "السر" الذي به يتم تكوين "جسد المسيح" بالروح الواحد – وذلك لإتمـام مشيئة الله ومن ثم جاء تشبيه الكنيسة بالجسد وأعضائه المتنوعة.. فهي لذلك تعتبر جسد المسيح المجازي الذي لا يمكن تحويله إلى جسد المسيح الحقيقي بـأي حـال من الأحوال ومن المؤكد أن غرض تعليم الروح القدس عن "الكنيسة" أنها "جسد المسيح" قاصر على وجودها هنا على الأرض، ولكن بعد وصولها إلى السـماء لا نعود نسمع عنها أنها الجسد، بل نسمع عنها "كالعروس" فقط – وهي إنما تكونت كجسد المسيح لتصبح عروسه عند مجيئه، فالجسد قائم الآن إلى وقت المجـيء الثاني!! فكيف يقال إذاً ان المسيح هو الكنيسة بحصر اللفظ كما سبقت الاشارة!؟

و"العـروس" عند ظهورها حينئذ سترى بأنها أسمى جداً من الملكوت الحرفي الـذي كان اليهود ينتظرونه حتى أنها ستكون موضوع تعجب الملائكة والبشر عند اسـتعلانها في مجده هو الذي سيغمرها ويغطيها فتظهر عندئذ لابسة "الشمس" وهو ربهـا الذي سيتجلى فيها وليس الفضل في هذا كله لها بل له وإذ الأمر هكذا فعلام تمجيدها بالمجد الذي لربها وسيدها واعتبارها أنها ملكوت الله وأن امتيازها فريد في نوعه يخصها وحدها. وأنها تستحق أن يهبها الإنسان عمره ويجد فيها كيانه ويعيـش لها وبها وهذا كله يحمل في باطن معناه استبدالها بالمسيح وهذا في حد ذاته شروع على الأقل في مساواتها به – لأنه ماذا يبقي للمسيح من بعد ذلك!!

* *

يتضـح ممـا سـلف ذكره أنه ليس من الصواب تسمية الكنيسة ب "الجسد الحقيقـي للمسيح" حيث أنه ليس لها هذه "الواقعية المطلقة التي لناسوته" – الذي

هو الجسد الحقيقي فعلاً شكلاً وموضوعاً ومن ثم فإنه ليس للكنيسة هذا التحقيق المطلق كجسده الحقيقي الذي تجسد فيه!!

ولذلك فأنه أياً يكون شأن الكنيسة وبرغم كل التجسيمات الضخمة التي تفضلت هذه الفرق المستحدثة بإسباغها عليها فأنها بحسب تعليم العهد الجديد المتكامل لا تعدو أن تكون خليقة جديدة مخلوقة من جنب آدم الجديد من لحمه ومن عظامه، لتكون معه ويصير معها جسداً واحداً وذلك على سبيل التشبيه مع الفارق بين الحالتين!! أي حالة آدم وحواء – وحالة المسيح والكنيسة!!

وهنا لنا وقفة لابد منها وهي: **أن المسيح وأن كان قد تفضل على الكنيسة بأن يكون رأسها إلا أن ذلك لم يكن عن احتياج من جانبه لأن الكنيسة كجسده تنال الحياة منه**، وهي مأخوذة منه كآدم الثاني بفعل موته على الصليب أخذاً معنوياً لا حرفيا وفي القول أننا صرنا للمسيح الذي أقيم من الأموات نجد تفسيرها أننا تزوجناه – **وهذا تخصيص فردى معروض على كل فرد ممن تتكون منهم الكنيسة، ولكونها "عروسة" مطلوب منها أن تخضع له، وهذه هى بركة النسبة الروحية الكائنة بينها وبينه!! مما تستوجب أن تتكون الكنيسة الحقيقية من قديسين فقط يتحدون معاً اتحاداً منظوراً في مكان يتواجدون فيه معاً لمنع التفكك والتباعد حفاظاً على سلامتهم وكذلك إظهاراً للشهادة الواجبة مما فات الكثيرين من أدعياء الإيمان!!**

وهنا نعود إلى كوستى بندلى في تفسيره لعبارة: "ويكون الاثنان جسدا واحدا" كما ورد بكتابه: "الجنس في معناه الإنساني" قوله:

إن أمامنا هنا لقاء بين ذات وذات متماثلين في رجل وامرأة لكونها "معيناً نظيره" والنظير هو "المتماثل" وفي الإنجليزية Partner أي "شريك" ليتكون منهما كياناً واحداً وهنا يصبح الاثنان بالاتحاد واحداً ومع ذلك يلبثان اثنين، إنها وحدة روحية لا تلغي شخصية كل من الطرفين بل تؤكدها...

وهو يستطرد إلى القول :–

فقد خلقت حواء وآدم في حالة انخطاف روحاني يشبه حالة اتحاد النفس

البشـرية بـالله كما يصورها سفر النشيد، وكما تبدو نهايتها في سفر الرؤيا... وليسـت هـذه حالـة فردية فقط بل هي حالة الكنيسة بأسرها والتي تحمل لقب "العـروس" وهـي جماعة المؤمنين الحقيقيين على مر العصور وهم من الرجال والنساء على السواء...

أما من لا يدركون هذا السر الروحاني ويتخلفون عنه، فإنه هنا يظهر شطط كل واحد منهم، **إذ يظهر الإنسان بدون هذا الاتحاد الروحاني منعزلاً تماماً في محاولة لتأليه محدوديته عوضاً عن أن ينفتح إلى الإله اللامحدود!!**

وعـلى ذلـك فإن هذا الانخطاف الروحاني الذي يجمع المؤمنين الحقيقيين في كيـان يضـمهم معاً لكي يربطهم بعضهم ببعض وهم معاً بالمسيح في وحدة سرية روحانيـة تنتسب إليه دون أن تندمج فيه وتمس مركزه اللاهوتي والتوسطي الفريد الـذي لا يشـاركه فيهما أحد على الإطلاق مما يؤكد تماماً بأنهما ليسا هما بمركز الكنيسة حتى ترتفع به وتساويه!!

هذا يقودنا إلى ختام التأمل في هذا الفصل وهو يتعلق بالقول :

"لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه" :

لقـد وجدنـا في (تكوين٢:٥،١) استعمال غريب عند التحدث عن اثنين ذكراً وأنـثى بصيغة المفرد وقد سبق أن رأينا أن عبارة "جسد واحد" لا تعني شيئاً مادياً ملموسـاً ولكنه حالة غير مادية وغير ملموسة **فـليس المقصود إذاً أنهما قد صارا فعـلاً جسماً واحداً فاتحادهما إذاً ليس اتحاداً حرفياً أي بيولوجياً أو عضوياً - ولا يخـص وظائف الجسم إذ أن كل من الجسدين باق كما هو ولذلك فأن المعني إنما يتجه إلى الوحدة النفسية والكيان الروحاني الواحد غير المنظور وذلك بالرغم من قـبول آدم لحـواء ووصفه لها بأنها عظم من عظامه ولحم من لحمه - فإذا كان هـذا هـو حال هذا الوصف المادي الحرفي فكم يكون انطباقه على المسيح أشد وأروع : فهو اتحاد غير معروف كنهه ولا هو منظور للعيان وقد بلغ من السرية ما يفوق العقل والخيال!!**

لأنـه إذا كـان الاتحاد الزوجي الذي وصف بذلك الوصف المادي المجسم قد وجدنـاه بأنه لا يعني تحقيق الوحدة الكاملة الشاملة التي تتمشى مع هذا الوصف

إذ أنـــه لا يحقـــق إلغاء شخصية آدم أو شخصية حواء أو أي زوجين آخرين من بعدهمـــا وإنما ذلك على سبيل المجاز فقط – فكيف يكون الحال بالنسبة لوحدة أي مؤمن حقيقي بالرب؟! وهي هنا اتحاد فردي فحسب ولسنا ندرى كيف يكون حال تفسير المعني بالحرفية التي ينادي بها أهل الفرق المستحدثة بعد أن وصل مجال تفسيرهم إلى الاندماج الكلي في الرب الذي هو الله بعينه!؟

وإزاء ذلك فإننا نردد عبارة القس أمين نصرت نفسه عندما ينقد الأفكار التي يراها غريبة ومنحرفة في قوله: "رفقاً بعقولنا يا سادة!" فإننا بدورنا نردد عبارته هـــذه في مواجهة كل تطرف في التفسير يخلط بشريتنا المعروف أمرها بلاهوته العظيـــم!! وما كان لهذه التجاوزات من داع لأن وحدة الكنيسة الروحية قائمة دون حاجة إليها وعلى الرغم من تعدد أعضائها وكثرتهم بذلك وصفها الوحي بأننا نحن الكـــثيرين جســـد واحـــد في المسيح (رو١٢:٥) رغم اختلاف الجنسيات والشعوب والألسنة!! وقد وصفت هكذا على المستوى المحلى والعام أيضاً!!

وكل ما في الأمر بأنه لأن الله خلق فعلاً حواء جزءاً من آدم نفسه لذلك خاطبها بهذا الخطاب: "عظم من عظمي ولحم من لحمي" هذا لأنها كانت مأخوذة منه الأمر الذي انبنت عليه علاقة حميمة نشأت بينها تفوق العلاقة مع الوالدين...

أمـــا الكنيسة فقد خلقت خليقة جديدة أنهت تلك القديمة التي كانت لها في آدم وأصـــبحت تنتسب للمسيح حالياً كجسده التشبيهي دون أن تكون جزءاً من كيانه الخاص به!! إذ ان ذلك فى حكم المحال وشبيه بتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم عمانوئيل!!

فاعلان آدم عن حواء بأنها من لحمه **إنما هو رمز طبيعي يمثل لحد ما حقيقة روحيـــة وصفت بأنها "سر عظيم" أي بنفس الوصف الذي اتصف به "سر التجسد" وهـــو بذلـــك سر منغلق على الأفهام كسائر الأسرار** التي خصصنا لها هذا الفصل بأكملـــه لمنع الخوض فيها جميعها – **فما بال القس أمين نصرت بجرأته المعهودة يحـــوم حول هذا السر** ويفسره باليوناني والعربي ليعصر معانيه ويستخرج منها ما لا يتفق مع حقائق الكتاب ككل فينفرد بتفسيره الحرفي إلى تفسير لا يقبله العقل ولا يستسيغه المنطق!!! وهو مما لم تعرفه المسيحية فى أى زمن من تاريخها المديد!!

الفصل الخامس

"الإلوهية المكتسبة : معناها ومداها"

"أنـا قلت أنكم آلهة وبنو العلي كلكم" (مز٨٢:٦، يو١٠:٣٥)

• أصل الشر وبداية سر الإثم :

ليـس بغريب أن يستخدم الرسول بولس كلمة "سر" ويربطه بالإثم فيجعله بذلك "سـر الإثـم" ضـمن الأسرار التي يستغلق على الإنسان إدراكها – ولم يكن من المناسب أن توضع مع الأسرار المذكورة في الفصل السابق وخاصة وأن هذا السر خاص "بالإلوهية المكتسبة" أي "التأليه" وقد سبق أن علمنا أن كلمة "سر" تشير إلى حقيقـة لا يمكن إدراكها أو فهمها وإنما هي معلنة بالوحي للإيمان حسب طاقة نور الإعـلان الذي يصل إليها كل مؤمن على حدته... **وفيما يختص "بسر الإثم" هذا، فأنـنا قـد وجدنا فيه تضليل المسكونة كلها حتـى لو أمكن لكان يضل المختارين أيضاً... ولذلك كان من اسماء ابليس "المضل"!!**

أمـا عن اصل الشر فإنه لم يكن هناك علة سببية لوجود الخطية – وقد تحير بعضـهم فـي أمـرها فحسبوها ذات مجسمة لها وجود حقيقي – **مع أن وجودها معنوي وإنما هو مجرد الاختيار المبني على حرية الإرادة...**

ولذلـك حـدث سـقوط الشيطان نتيجة ميلاك سرى لرغبة شريرة ولدت في طبيعـته قادتـه لمخاصمة الله ومنافسة إبنه وجعلت منه "الخاطئ الأول" لأنه كما وصـفه المسـيح فـي (يوحـنا٨:٤٤) بأنه : "لم يثبت في الحق لأنه ليس فيه (بسقوطه) حق".

ويذكر أشعياء اسمه "لوسيفر" وفي العربية "زهرة بنت الصبح" ومعناها (حامل النور) ويبدو أنه كان حاكماً لكوكب الزهرة والمجموعة الشمسية التي منها الأرض (ص١٤) **وقـد وصـفه حزقيال في (إصحاح٢٨) "بالكروب المنبسط المظلل.. في جـبل الله المقدس أي في أعالي السماوات كالأمين الأول للعرش وكان مغطي بكل**

أنـواع الأحجـار الكريمة حتى وصفه بعضهم بأنه كان رئيس طغمة الكروبيم من الملائكـة وهم حملة العرش كما كان يشغل منصب رئيس فرقة التسبيح الملائكية بدليـل أنـه اختص في صنعه صيغة الفصوص وترصيعها - ويري البعض أنها موسـيقي القرب وما يسمو عليها.. ولقد كشف لـه الله أسرار كثيرة قبل سقوطه كصـديق مؤتمن وموضع ثقة - وقد فاق بذلك على فرقة السرافيم التي تقدس رب الجنود على الدوام!!

ولا محل للقول هنا بأن الله خلق "لوسيفر" هذا شيطان، لأن الله لم يخلقه شريراً ولا هو خالق الشر (إلا في معني البلايا فقط) وإنما قد خلق خليقة صالحة - ولكنه بحسب اتفاق إجماع الآراء كان كاملاً بخلقته لكنه فسد باختياره (كما يقول ترتليان).

• •

ويتضح من النصوص الكتابية الخاصة بموضوعه أن الله هو الذي أعطاه هذا المقـام والذي بموجبه كان: "خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال" بل أن الرب نفسـه يخاطـبه بـالقول: "أنت كامل في طرقك من يوم خلقت حتى وجد فيك إثم" وأيضـا "قد ارتفع قلبك ببهجتك. أفسدت حكمتك لأجل بهائك.. قد نجست مقادسك بكثرة آثامك" (حزقيال٢٨).

ونحن نجد هنا أن هذه الامتيازات كلها لم تمنعه من السقوط وأن الإثم لم يأته من الخارج بل جلبه هو على نفسه وولد سرياً في داخله لارتفاع قلبه عندما حول نظـره إلى بهائـه فرأي جماله الفائق باعتباره - بحسب إجماع الرأي - أنه أول مخلوقات الله - فأراد أن يستخدم هذا كله الذي منحه له الله - لصالحه الشخصي باشتهاء الإلوهية وكان سبب ذلك الجهل بكونه كائناً محدوداً كخليقة الله وقد تولد من هذا الجهل الكبرياني وإذا كان هذا الذي وصف بأنه خاتم الكمال وملآن حكمه تعطلت معرفته لنفسه ورغب أن يعطيها حجماً أكبر فسقط وهوى من أعلى عليين لأسـفل السافلين - فما بالك بالبشر حتى شعب الله - الذي وصفه هوشع النبي - بأنه هلك من عدم المعرفة بل أنه في الواقع قد رضي بنقص المعرفة ليزيد نفسه هلاكاً على هلاكه ويدع جهله يدمره!؟

وقد اصبح لوسيفر بسقوطه عدواً لله وللناس منذ وقت سقوطه وعبر الأجيال كلها وجعل كل اهتمامه تدمير البشر وسلب الله من المجد الواجب لاسمه – وقد سقط من مقام الرضي والبهاء فيما تنعم به لفترة من الزمان – وهو يجول الآن ملتمساً من يلتهمه رغم تحدى المسيح له بالصليب وهو لم يكن وحيداً في تمرده بل استطاع أن يجر معه ثلث النجوم (أي الملائكة) وهم جنوده الآن وهو ينشد بذلك أن يكون السيد المطلق – في حكم العالم الذي أقام بعرضه على المسيح متصوراً امتلاكه له مع أن ذلك عن طريق الاغتصاب فقط!!

• •

والآن من حقنا أن نركز على سبب سقوطه أنه في عبارة واحدة :

"تحقيق مشيئته كمخلوق في معارضة مشيئة الخالق" ولأجل ذلك طمع في اتخاذ عرش الإلوهية لنفسه ليصبح هو السيد المطلق على الكون كله – انظر إلى الكلمات الموجهة إليه في هذا الشأن: "قلت في قلبك أصعد إلى السموات... أصير مثل العلي.." "أنه قد ارتفع قلبك وقلت أنا إله. في مجلس الآلهة أجلس.. جعلت قلبك كقلب الآلهة..."

هذا هو التألية الذي ابتغاه الشيطان لنفسه وأوقع حواء في شراكه بقوله لها: "تكونان كالله" وهو يسعى ليضل كل من يقبل ضلالته من بني البشر في التأله ليؤلهه – ولكن إن كان الشيطان بكل الجلال الذي اتصف به اخفق في محاولته أن يتأله – ليكون مثل الله – فماذا يكون الإنسان إذا ما ابتغي هذا التأله وتصوره في نفسه رغم ما جاء في سفر الأعمال عن هيرودس عندما نفخوه بالقول: "هذا صوت إلـه لا صوت إنسان. ففي الحال ضربه ملاك الرب لأنه لم يعط المجد لله. فصار يأكله الدود ومات" (١٢،٢٣:٢٢)

• التأله أو التأليه خطورة مهلكة :

فإن الرغبة فيها هي التي جعلت الشيطان ينحرف عن الله ويصل إلى حالة الانفصال بينه وبين خالقه – هذا هو منشأ "سر الإثم" ولقد كان سقوط الشيطان

سرياً في قلبه ثم اصبح علنياً من بعد ذلك ومع أن سر الإثم يعمل الآن خفائياً لكنه سيصل بالبشر في عصر الوحش والنبي الكذاب إلى كامل الارتداد العلني عن الله بالكفر في وجوده وإلغاء الأديان مقابل "تأليه الوحش" القادم!!

هذا هو مبدأ السقوط والرسول يحذر من "**السقوط في تعيير وفخ إبليس**" (١تى ٣:٧) ويسمي ذلك "**الصلف**" الذي يسقط صاحبه في دينونة إبليس ومعناه "**الغرور**" وهذا نفس ما وصف به الناس أيضاً بأنهم "**متصلفين**" وخاصة في الأيام الأخيرة (٢ تى٣:٤)!! وهذا هو الوصف الذى يشتهرون به الآن بوجه خاص!!

ونظراً لأن الرب اعتبر الجهل أم الخطايا كلها – وهو لذلك يسبق الكبرياء – بل هذه تتولد منه (انظر مرقس٧:٢٢) وذلك لأن الكبرياء وأن كانت مظهر السقوط الظاهر بسبب الإعجاب بالنفس والتركيز على الذات إلا أن الجهل هو عدم استعمال القوي الفكرية والإرادية التي تميز الخلائق العاقلة عن البهائم وتدفعها للتصرف بدون خوف الله ومراعاة اطاعة الضمير الصالح ونتيجة ذلك الوقوع في الكبرياء مصيدة الهلاك!!

• •

ونظراً لأن هذه الحالة التي انتهينا إليها كسبب السقوط – أي الجهل ثم الكبرياء – قد يتعرض لها أي من بني البشر – حتى المؤمنين أنفسهم إن لم يتحصنوا بالعلم وبالتواضع – فأننا لذلك قد وجدنا الكثيرين يسقطون في هذا الفخ أي الرغبة في التأله – ولو على حساب النعمة الغنية التي رفعت مقامنا– فمن أسف شديد وجدنا هنا بعض كبار المدافعين عن الإيمان يسقطون في هذا الشرك وربما دون أن يشعروا بذلك أو يدروا بنتائجه.

وعلى رأسهم أثناسيوس الرسولي في دفاعه ضد آريوس، فقد جاء فيه بحسب ما ورد في كتيباته: "مقالات ضد الآريوسيين" ما يأتي نصه في المقالة الأولى فقرة ٣٩ جاءت هذه العبارة تقول:"أن المسيح لم يصر ابنا لله كجزاء لكماله الأدبي بل على العكس لأنه هو الذي ألهنا – أي جعلنا آلهة – وكانت كلمة

إلهيين" قد ظهرت هنا لأول مرة في نزاع أثناسيوس مع آريوس – ويستطرد اثناسيوس إلى القول: "لذلك إذاً فالمسيح لم يكن إنساناً وفيما بعد صار إلهاً، **بل أنه كان إلهاً ثم صار إنساناً ليؤلهنا".**

ولما كان آريوس قد طبق على المسيح عقيدة "التبني" أي أنه لم يكن إبناً بطبيعة الجوهر بالولادة الأزلية المطلقة – وإنما كان أول مخلوقات الله ورفع للمساواة المكتسبة مع الله عن طريق التبني "كسائر المؤمنين" وهو الذي يصير البشر بإيمانهم به "أبناء الله".

وكان رد أثناسيوس من الجهة الأخرى: **"أن المسيح مادام قد أخذ على عاتقه أن يؤله الإنسان، فكيف لا يكون من الممكن له وهو الكلمة الذي يقوم بعمل التأليه لا يكون واحداً في الجوهر مع الله"!**

ولقد حاول آريوس أن يحول لفظه "مساو" إلى "مشابه" لله في الجوهر ولكن خدعته فشلت...

أما "أثناسيوس" فإنه في سبيل ضمان لاهوت المسيح، رفع الذين يؤمنون به إلى درجة الإلوهية دون أن يكون هناك داع لهذا الرفع أو مستند كتابي به!!

في حين أن مثل هذا القول غير مقبول لدي العقل كما أن المنطق لا يستسيغه حتى أن الذي يجرؤ على التحدث به لا يمكن اعتباره مسيحياً... **ومع ذلك فقد وجدنا كيرلس في كتابه الذي ننقده ص٧٠ يعلن بأننا قد صرنا أبناء لله كابنه فانتقلت هذه الكرامة منه إلى الجنس البشرى بأسره حتى أدركتنا نحن أيضا الكلمة القائلة: "أنا قلت أنكم آلهة وأبناء العلي كلكم" (مز٨٢:٦)**

* *

وهكذا قد سار في أعقاب اثناسيوس"كيرلس الكبير" فنهج على نهجه في كتابه: "الكنيسة جسد المسيح" وهو في ذلك لم يكتف بما ورد عنه في صفحة ٥ فيما سلف أن ذكرنا **بل تقدم إلى ما هو أنكى وأغرب بقوله في صفحة ٧ بأن: "حياة الثالوث الأقدس تُعطى لنا بواسطة الروح القدس" ويذهب كيرلس هذا إلى أبعد من ذلك**

فهـو يجتـرئ بأن يقيم موازنة بين وحدة طبيعة الأقانيم الإلهية فيما بينها ووحدة الطـبيعة الجديـدة الـتي تجمـع البشر فيما بينهم مع أنه يسلم بأن الفرق بين الوحدتيـن إنما هو مما لا يقاس" (صفحتي١٣،١٢) وهو يستطرد إلى القول: "أن الاتحـاد الـذي يجـب أن يقوم بين المؤمنين إنما هو صورة ومثيلاً لوحدة الآب والابـن فـي الثالوث الكلى القداسة" (صفحة ١٩) ثم يعود فيقول مقرراً هنا مبدأ الامتزاج الكلي بالله بتعبيره عن أن : بقبولنا جميعاً الروح الواحد بعينه أي الروح القـدس، نصـير بذلـك ممتزجين جميعاً بعضنا ببعض ومع الله.. وذلك رغم أننا مـتميزون بعضنا عن البعض... بل أنه يقرر بعد ذلك "بأن الروح الذي فينا وهو واحد وغير منقسم يجمع إذاً بذاته في الوحدة الأرواح المتعددة والمتميزة ويجعلها بطريقة ما (لم يعرفنا ماذا تكون) روحاً واحداً في ذاته" (ص٢٠) ويستمر في هذا الاسترسـال المـريب إلى أن يقول في ص٣٠ "فالروح القدس يغير النفوس على صـورة الله ليـس باسـتخدام النعمة كأداة بل بإعطاء ذاته لمشاركة في الطبيعة الإلهية".. وهذا الذى يقوله هو قمة التطرف الذى يطعن فى التنزيه الالهى!!

ويعوزنـا الوقـت والحجـم من جهة الاسترسال في هذا السيل الجارف من التعبيرات التي يراد فرضها علينا الآن وخاصة من جانب الفرق المستحدثة – التي راقتها هذه الأقوال لأنها رغم تناقضها وخروجها عن أصول العقيدة المسيحية في تنزيه الله إلا أنها تتوافق مع هذه الأمزجة الحديثة التي تشتهي التأله بأي حال من الأحـوال!! فلننظر في ختام ما اقتبسناه عن القطب الشهير "كيرلس الكبير" إلى ما يقوله في صفحة ٤٨ من دعوته لنا لنتعاون من أجل بنيان جسد المسيح وهو يصف هـذا التعاون : "بشركة ومشاركة واندماجاً"... وواضح مما اقتبسناه هنا بانه يثبت أنـه متناقض مع الحق الكتابي ولا يستند إلى أي نص فيه بل هي جرأة التفسير الـتي يحميها ويعشقها رواد الفرق المستحدثة ويكفي أن يقال في هذا الصدد ما جـاء في الكتاب المذكور نفسه من أنه يتكلم في تقديمه لهذا التعليم بما لا يعتبره ممكناً أو واجباً عليه في التفسير – فوآسفاه!!

• شرح النصوص التى تحدثت عن الألوهية المكتسبة :

عندما اعترض اليهود على تسمية المسيح نفسه "ابن الله" وواجههم بما ورد في ناموسهم (سفر المزامير) بتعبير ذكرهم به نصه "**أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم**".

كان هذا التطبيق من جانبه رداً على ادعائهم بأنه كون المسيح يسمى نفسه "ابن الله" فإنه يجعل نفسه بذلك إلهاً وهو إنسان واعتبروا ذلك تجديفاً، في حين أن كل الذين صارت إليهم كلمة الله يدعون آلهة :

وقد وضح المسيح برده هذا أن دعواه بأنه ابن الله ليس فيها ما ذهبوا إليه وهي بلا غرابة لأنها ليست ادعاء كاذب إذ كيف يكون الأمر هكذا وهو الذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم!؟ **فهل يكون في ذلك أي تعجب بعد أن ذكر لهم بأن الذين صارت إليهم كلمة الله قد دعوا آلهة وبنو العلي!؟**

فإن كان مجرد الذين صارت إليهم كلمة الله (أي رسالته) قد دعوا آلهة فكم بالحري ابن الله وهو كلمته الذاتية ورسوله إلى العالم!؟ ليعطي للناس علاقة مباشرة مع الله – **فهو كابن أبيه الصادر من جوهره أولى بهذا الاعتبار منهم لأنهم لم يكونوا من القداسة في شئ يذكر لأنهم ليسوا من جوهر الله ومع ذلك فقد دعوا بنو العلي..!؟**

ومن ثم فإن التهمة التي وجهت إليه لم تكن موافقة لواقع الحال لأنه هو وحده الصادر من الآب رأساً صدورا غير مدرك!! **ولذلك فإنه هو غيرهم لكونهم مجرد بشر وبالرغم ما يتصورونه في شأن أنفسهم فأنهم مثل الناس يموتون أما هو فأنه "ابن الله الوحيد" قاهر الموت ومبيده!!**

وفضلاً عن ذلك فإنه بحسب الوصف الذي جاء عنهم في مزمور ٨٢ نجدهم في حكم القضاة والحكام – **وأنهم لذلك اعتبروا "مجمع الله" والله قائم في وسطهم كآلهة" ليقضي!! هذه هي "الإلوهية المكتسبة الممنوحة لهم بسبب مراكزهم – ومثلها ما قاله الرب لموسى بأني جعلتك "إلها" لفرعون – أي حاكماً ومتسلطاً عليه... وذلك في نفس النطاق وبذات المعنى!!**

ولكـــن من جهة أخرى ما أعجب المقارنة **بينهم وبين الابن الذي لا يمكن أن يدمج بينهم كمجرد ممثل لله نظيرهم** – فلم يذكر عنه قط!! أن كلمة الله صارت إليه مـــع أن هـــذا التعـــبير؟ قـــد ورد شعاراً لكل الأنبياء بما في ذلك المعمدان أعظم المولودين من النساء الذي قيل عنه: "كانت كلمة الله إلى يوحنا"..

أمـــا يوحنا هذا نفسه فهو الذي قال عن المسيح: "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع... **وهو لذلك يختلف عن الأرضيين**"!!

وإذاً إن كان قد قيل عن الذين نطقوا بكلمة الله فقط "إنهم آلهة"... فماذا يقال عن هذا السماوي الذي قدسه وأرسله الآب مما يدل دلالة قاطعة أنه كان مع الآب وعـــنده قـــبل إرساليته هذه التي كرسه الآب لها!! وذلك بموجب مشورات الآب الأزلية من جهة ذلك مرتبطاً بها ما سيحققه عن طريقها إذ هو قدوس الله الذي حتى الشياطين عندما تقابل معها اعترفت به هكذا!!

وبعودتنا إلى مزمور ٨٢ نفهم أن الله في وسط هؤلاء الآلهة أي الممنوحين الإلوهية المكتسبة – من جهة سلطان الحكم وهيبته.. وأن الله حاضر في وسطهم ليسألهم عما فعلوه... ويقال في تفسير عبارة : "أنا قلت" إنها تعني "افتكرتكم آلهة" أي أنكم منحتم هيبة الآلهة **ولكنكم عوجتم القضاء وتحتاجون إلى أن أذكركم بأنكم مثل الناس تموتون ورغم ذلك فأنكم تحكمون بلا عدالة** بمعنى أنا رفعتكم لوظيفتكم أى إلى هـــذا المركـــز الـــرفيع **ولكنكم لن تستمروا فيها وبذلك فإنكم "آلهة" لوقت محـــدود لسببه فإنكم كبشر لن يكون لكم وجود كآلهة بمعني مطلق**!! هذا هو حكم الله عـــليهم لأنه هو الذي كلفهم بعمل العدل... وسيحاسبهم على ما يفعلوه كما انه يعزلهم بالموت نفسه!!

* *

أمـــا الإقتـــباس الـــذي تحدث به المسيح في إنجيل يوحنا١٠: ٣٤ ليواجه به الموقف اليهودي المضاد له وهو يقصد به بأنه إن كان قد وجد من بين البشر من تسموا بآلهة – فلماذا الغضب عليه بسبب تسميته "ابن الله"... وذلك بعد أن أعلن

الله عـن أنـاس معينين بأنهم "آلهة"!؟ لأنه إذا كان الله يصف القضاة والأنبياء بـأنهم "آلهة".. فهذا مجرد لقب ولن يكون معناه إنهم قد اصبحوا متساويين معه، أما المسيح فقصد أن يبين لهم بأن تسميته "بابن الله" ليست مجرد لقب أو وظيفة بل هى له لأنه هو المساو للآب في الجوهر إذ هو واحد معه فيه...

ومـن ثم فأنهم مجرد آلهة أرضيين ومؤقتين – وهذا هو حال هذا النوع من الألوهية المكتسبة، أما الابن المرسل من السماء فلا ولن يمثل بآلهة وذلك بالرغم من مطالبة الوحي لنا نحن المؤمنين بالخضوع للسلاطين الكائنة باعتبارها مرتبة من الله (رو١٣) فإن كان الله قد أضفى عليهم بعض كرامته كممثلين له في إقرار العـدل وتقديـر أحكامه والمفروض فيهم أن يكونوا ممثلين صادقين فلقد صارت إليهم كلمة الله ليحكموا بموجبها ولكن ما أسرع ما يجردهم الموت من جلالهم هذا فهـل لهـذا كلـه صلة بما تفعله الفرق المستحدثة من التمسح في المسيح نفسه لاكتسـاب شـبه الألوهية منه بما يماثل نظام الباباوات الذي يعتبروهم نوابه بل متمثل فيهم حضوره مهما كانت اخطاءهم حتى أنهم نسبوا العصمة التي يتميز بها إليهم... ومنحوهم سلطان وضع القرارات وخاصة الخطيرة منها والمخالفة لكلمة الله!! فيا للحسرة ووآسفاه!!

ومـن عجب بعد كل هذا أن إحدى المؤمنات – في نطاق الفرق المستحدثة – سـكبت على قائدها (أي اباها الروحي) قارورة طيب كما حدث قديما مع المسيح نفسـه – بـل أن هناك قائداً آخر قبل من إحدى المفتونات به تقبيلها لقدمه وقد أجاب عن ذلك ليس بجواز الأمر فقط بل بأنه شرف لا تستحقه...

وليس فى ذلك أى غرابة فقد ورد فى احد اعداد نشرة حوار الاجيال الصادرة عن مؤسسة اثناسيوس عام ٢٠٠٢ تحت عنوان : "أقوال الآباء فى الاتحاد بالله"

* إن الله غيـر المحصور الذى لا يمكن لإنسان أن يدنو منه، غير المخلوق الذى اتخـذ لنفسـه جسـداً ... وتخلى عن ذلك المجد الذى لا يستطاع الدنو منه لكى يصير بذلك قابلا للاتحاد مع خلائقه المنظورة اعنى نفوس القديسين لكى يقدروا

هـم ايضـا ان يشـتركوا فى حياة اللاهوت وهنا نجد تجريد المسيح من مجده وادخال القديسين معه فى حياة اللاهوت فيا للعجب!!

- أعـلم ايهـا الانسـان قيمـتك من حيث كونك أخا للمسيح .. وعروسا للعريس السـماوى لأن كل من استطاع ان يتطلع الى قيمة نفسه يستطيع أيضا ان يطلع عـلى قـوة الطبيعة الإلهية وأسرارها وبذلك يزداد اتضاعا .. ويجوز الالام مع المسـيح ويصـلب ذاته ثم يتمجد معه ويقوم معه ويجلس معه ويتحد معه ويملك معه (الأب مكاريوس الكبير).

وأمـا عـن الفـروق المستحدثة الأخرى فمنها من اختص بما اسموه "الزواج الأفضل" وفى ثناياه تعضيد لمذهب العراه وأيضا إشراك الله فى عملية الجنس التى تختص بالانسان وحده كلية وذلك بربط الجنس بالروحانية...!!

ومـا يزعمه البعض تحت شعار "التلمذة" انما هو الادعاء بأن هذه الفرقة تؤمن بمـا اسـمته "الكتاب المفتوح" وكأن الكتاب المقدس عند غيرهم مغلق تماما بحسب تصورهم لهذا الأمر بفكرهم الخاص.. وخاصة ونحن نعيش على ظاهر الأمور .. على العلامات الخارجية.. فجهلنا بالاشياء يملأنا بالطمأنينة ولكنها طمأنينة زائفة!!

وأمـا فرقة نداء الملكوت فقد ادعت بامكانية تحقيق ملكوت المسيح الحرفى فى الحـال وعلى الفور وهى تمارس أموراً تدل على ذلك ولكنها من قبيل الوهم وانما نجحـت فى ان تنظم مجموعات معينة تستمتع بالشركة معا فى اماكن مناسبة تحت مظلة رابطة الانجيليين وهى تهتم بالتسبيح جداً وتعليه على كل شىء.. ويبدو الأن انها رأت لأجل سلامتها أن تختفى فى نطاق رابطة الانجيليين وتقوم بدورها تحت غطاءهـا دون حاجة لإبرازه بالتشكيل والاشهار!! وترحب بهم المشيخية الطاردة لشهود الحق الامناء!!

وهـذه انمـا هى لمحـة عابـرة عن انواع من الضلالات الفكرية والتعليمية والاداريـة الـتى اكتسـحت المسيحية مؤخرا ناهيك عن المذاهب المنحرفة الاقدم تاريخياً وما أكثرها!! وان ما نخشاه انما هو أن تكون هذه جميعها كما من الارتداد الاخير!!

تفرد المسيح
باتحاد اللاهوت بالناسوت فيه ذاتياً

"اتحدت الطبيعتان الإلهية والإنسانية فيه بغير استحالة ولا اختلاط ولا افتراق فلم تتحول طبيعة لاهوته إلى جوهر الجسد ولا جوهر الجسد إلى اللاهوت، ولا صنع أيضاً جوهراً واحداً مركباً من الطبيعتين"

• ضرورة التفرقة بين الحلول والامتلاء :

ونحن نتابع نشأة العقيدة المسيحية في اللاهوت قد رأينا مقدار الجهد الكبير الذي بذلته الكنيسة الأولي في سبيل تفهم حقيقة المسيح وتوضيحها لكل الأجيال حتى تكون للمسيحي عقيدة تعبر عن إيمانه يتميز بها عن غيره ويستند فيها إلى كتابه المقدس... وسرعان ما وجدت الكنيسة نفسها تواجه في مجامعها أمر التأمل في ناسوت المسيح إذ رأته مهماً كلاهوته لأنه بدون اتحاد اللاهوت بالناسوت لم يكن بالإمكان أن يكون المسيح "الوسيط الوحيد" بين الله والناس!!

ومن ثم فإننا قد وجدنا في يسوع المسيح "الإله المتأنس" شخصية فريدة في نوعها لأنه الشخص الواحد الوحيد الذي فيه اتحدت الطبيعتان الإلهية والإنسانية في أقنومه الواحد. فمع أنه إله أزلي نجده قد تجسد وصار إنساناً بدون أن يختفي لاهوته – أي كونه إلهاً... ونظراً لذلك فإنه يتميز عن الأقنومين الآخرين بناسوته كما يتميز عن سائر البشر بلاهوته، وهو بذلك لا مثيل له ولا نظير ولا شبيه لا في السماء ولا على الأرض – وهذا التعبير جاء وصفاً له في مزمور ٨٩:٦ " لأنه من في السماء يعادل الرب. من يشبه الرب بين أبناء الله" ومعني ذلك أنه لن يشبهه أحد من الملائكة القديسين ولا من البشر المفديين وذلك بوجه مطلق!!

فالحياة الجوهرية فيه أزلاً باعتبار لاهوته الواحد مع الآب وذلك لأن حياة الابن هي حياة الآب ذاته وأما ما جاء في يوحنا٥:٢٦ من "أن الآب قد أعطى

الابن أن تكون له حياة في ذاته" فإن الإعطاء هنا لا يعني أمر موجود بين الأقانيم إذ أن ذلك لن يكون بتاتاً وإنما هو أمر حادث يبتدئ بالاتحاد الذاتي لأقنوم الكلمة بإنسانيته الأمر الذي ظهر فيه بذلك اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحاداً تاماً منزهاً وأبدياً والذي بموجبه قد ظهرت حياة الله الذاتية في الإنسان يسوع المسيح، أما حياته كالابن الأزلي فهي حياة واحدة مع أبيه وروحه!

ويقيناً إننا نستمد حياة روحية منه – بالروح القدس – دون أن تكون بعينها حياته الذاتية السابق الإشارة إليها لأن هذه تخصه – دون سواه – في نطاق اللاهوت المنزه، الأمر الذي بسبب تجاهله قد نبعت ضلالات الفرق المستحدثة!!

فمع أنه – تبارك اسمه قد اظهر الخضوع في تجسده بأخذه صورة العبد ولكنه في نفس الوقت "قائم في صورة الله" ولم يُحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لئلا نتجنى على عظمته كما فعل الليبراليون بتنقيصه ونفي المعجزات عنه بما في ذلك ميلاده العذراوي وموته وقيامته، وعلى عكسهم تتمسك الفرق المحدثة بكل ما جاء عنه ولكنها في نفس الوقت تخفض من شأنه برفع أنفس المؤمنين إلى مستواه. فالأولون يطعنون في شأنه بالتنقيص والآخرون يقللون من ذلك الشأن بالتزيد!!

وفيما يلي سنبين حقيقة تجسده لتأكيد تفرده فيه بالقول: "تجسد الكلمة بلا إنحصار – أي أنه لم يصر بتجسده محدوداً بحدود الجسد الذي حل فيه وكأن كل مكان آخر أصبح خالياً منه، لأنه بلاهوته لا يحويه مكان، وليس في تجسده – له المجد – انتقال وتفريغ ولا حصر وتقييد رغم حلول الجوهر الإلهي بكل كمالاته فيه وقد دلت عليه أعماله – ولهذا كان ممكناً لأبسط الناس أن يرى لاهوته تلقائياً فقد جاء ابن الله يحمل صورة الله غير المنظور بكل ما لها من صفات سامية ظهرت في صورة إنسانية منظورة، وذلك دون أن يطرأ أي تغيير على وحدة الجوهر الإلهي، فهذه الوحدة لم تتأثر بالتجسد على الاطلاق لا بعد التجسد ولا من قبله وذلك لأنه حين صار الكلمة جسداً فأن ذلك قد تم بالاتحاد

الذاتـــي الـــذي بموجبه جعل الابن المتجسد الناسوت الذي اتخذه لنفسه واحدا مع لاهوته!!

وهـــو لـــم يصر بالتجسد إنساناً وكأنه تفرغ من لاهوته ولا طرأ على أقنومه الإلهي تغييراً ما أياً كان بسبب تجسده!!

ونظـــراً لذلك فإن حلول الله في المسيح يختلف عن كل حلول آخر – ولا وجه للتشـــبيه هـــنا حـــتى ولو قيل أنه مع الفارق، لأن حلوله في المسيح لا يمكن أن يقـــاس به أي حلول آخر أياً يكون، فما أعظم الفرق هنا ليس في الدرجة فقط بل في النوع أيضاً..!!

لأن اتحـــاد الله بالإنسان يسوع من وقت التجسد فصاعداً إنما هو اتحاد سرى فـــائق، ولـــذا قيل عنه: "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد" : ومن ثم فإن الحـــلول الخاص بالمسيح إنما حلول ذاتي اتحادي يختص به وحده وليس لنا نحن المؤمنين أي شركة معه فيه!!

فمن خطل الرأي إذاً ما ذكرته إحدى المجلات المسيحية مؤخراً في قولها: "إن الوحـــدة الكائـــنة بين المؤمنين وبين الله هي وحدة شخصية فأنفسهم وأجسادهم وأرواحهـــم تتحد بنفس وجسد وروح الرب يسوع المسيح، فأنفسنا تتحد بنفسه وأجسادنا بجسده وارواحنا بروحه فنصير بجملتنا وحدة واحدة معه بنفس الكيفية التي يتحد هو بها في جوهر اللاهوت وأقانيمه"!!

وهـــذا قـــول بـــاطل لأنه يوسع نطاق الاتحاد الذاتي بين اللاهوت والناسوت ويدخلـــنا فيه – ولذلك فقد توهم البعض ما قالوه بجرأة من أننا نشاطر حياة الله الذاتية، مع أن هذا القول طعن في صميم التنزيه المسيحي لله!!

هذا وقد وقع كيرلس الموصوف بالكبير في شباك هذه الهرطقة رغم أنه قد ذكر عـــنه بأنه يتمتع بالنور السري الذي ينير الأذهان في صياغة العقائد – بقوله: "لقد صـــار إذاً مـــن الممكـــن الآن بواســـطة التجسد والكنيسة أن تتحقق الوحدة بين البشـــرية واللاهوت... (ص١٦ من كتابه) بل أنه يعود فيقول: "فالروح الذي يقوم

بتشكيل النفوس البشرية، يطبع فيها الشكل الإلهي وينقش فيها صورة ذلك الجوهر الذي يفوق كل جوهر آخر – فهو الذي يرسم فينا صورة الطبيعة الإلهية فتظل مطبوعة فينا ملامح الطبيعة غير المخلوقة" (ص٥٩).

وهو يستكمل ذلك بالقول: "وإذ يعطى شبهه لطبيعتنا فهو يرسم فيها من جديد بهاء الأصل الإلهي ويعيد الإنسان على صورة الله"

وهو يعود فيفرق بين اتحاد الإنسان بالله على مستوى حلول اللاهوت فيه طبيعياً، وبين مجرد الارتباط بالله على المستوى الأخلاقي الإرادي – فيقول في هذا الصدد: "أن اتحادنا بالله يتجاوز مستوى توافق الإرادة ولذلك فإنه من الخطأ أن نتوقف عنده، لأنه فوق هذا الاتحاد (الإرادي) هناك اتحاد آخر أسمى وأكثر رفعة يتم بعطية اللاهوت للإنسان، فكما أن الإنسان يحتفظ بطبيعته الخاصة إلا أنه يتحول بنوع ما على شكل الله نفسه – وهو يمثل هذا الاتحاد بوجود الحديد في النار فإنه يبدو كما لو كان أصبح ناراً مع بقائه حديداً – وهو ينهي أقواله المثيرة هذه بقوله: "هذه هي طريقة الاتحاد بالله التي يطلبها ربنا من أجل تلاميذه وذلك بحلول اللاهوت فيهم والشركة معه بذلك (صفحتي ٦٠و٦١ من كتابه الكنيسة جسد المسيح).

هذا هو وصف كيرلس للإنسان الجديد الذي كل ما جاء عنه في العهد الجديد أنه "مخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أف٤:٢٤) وأيضاً "لبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو٣:١٠) فيرفعه كيرلس إلى رتبة ابن الله نفسه خالقه – في حين أننا وجدنا تطور في بدعته هذه لكونه يجرى مساواة المؤمنين بالمسيح فاديهم عن طريق اخفاض شأنه وذلك بإنكاره "الاتحاد الذاتي بين اللاهوت والناسوت في المسيح واعتباره إنساناً عادياً كسائر البشر وإنما حل فيه اللاهوت بإرادته بسبب تطهيره ونزاهته... ويبدو أن هذه كانت بدعة نسطور وأن الليبراليين قد تأثروا بها فجردوه من إلوهيته بسبب تجسده!!

أما إيماننا المسيحي فإنه يدحض كلتا البدعتين أي رفعنا إلى مستوى المسيح أو اخفاض المسيح ليكون في مستوانا أما القس أمين نصرت فليس له شأن بهذه

المسألة الدقيقة التي غرق فيها فطاحل مثل كيرلس ونسطور سالفي الذكر!! ولذلك فأنـــه لـــم يتعرض لقضية حلول اللاهوت في الناسوت إلا من بعد بإشارة لا تمس الموضوع في شئ وليس فيها جديد يستحق الذكر!!

• القس أمين نصرت يقدم شرطا جديداً فى موضوع حلول اللاهوت فى الناسوت :

لقـد تحـول المذكـور من الحلول إلى الامتلاء وتفضل علينا بشرحه – على طريقته الخاصة – وذلك للنصوص الواردة في كولوسي٢:٩،١:١٩ ونصهما: "لأن فيه سر **أن يحل كل الملء**" و **"فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا"** بقوله: بأن: "لاهوت الإبن الوحيد – وهو ممتلئ بسائر الأقانيم يملأ بالتالي تلقائياً إنسانية يسوع المسيح بالتمام"...

وهو يستطرد إلى القول في صفحة١٨ من كتابه "أنا... والآب واحد": **ولكن إن كـانت وحدتـنا على مثال الثالوث – فهل نمتلئ كل منا بالآخر؟ هل يصنع الروح القـدس حضـوراً لـلرب في كياني؟ وحضوراً لأخي ولأختي ولجماعة الرب؟ في روحـــي كمـا هـو قائم بين الآب والابن ومع أنه يقول هنا بأن القياس هو مع الفارق إلا أن قوله هذا مجرد خرافة ليس فقط لخروجه عن المألوف بل لأنه أيضاً بعيـد عـن الواقـع تمامـاً ولسنا ندري بمعنى تبادلنا هذا الامتلاء لأننا ناقصين وبالإمكـان أن نكمـل بعضنا بعضاً على حد قوله وكيف يكون ذلك أي كيف يكون دخولـنا بعضنا في بعض وما هي نتيجته؟ وهل تصل إلى الذوبان الذي به تضيع شخصياتنا! أم هى مجرد عبارة فارغة من المعنى!**

ونرى ما هذا الذي يقوله بدون وعي أو تدبر **وهل هناك قياس فيه حتى لو قيل أنه مع الفارق إذ يمثل الحضورية القائمة بين الآب والابن بحضورية في كياننا أنا وأخي وأختي وجماعـة الرب...!؟ وهكذا نراه يحدث مقارنة بين محدود وغير المحدود!؟ وهذا فى حد ذاته مستحيل!!**

وهـل نسي أو فاته **بأن الروح القدس** الذي يصنع هذا الحضور في اللاهوت بيـن الآب والابـن وفيـنا **إنما يحل على المؤمنين ابتداء من يوم الخمسين ليس**

بحـلول اتحـادي ذاتـي كمـا في اتحاد اللاهوت بالناسوت أو كاتحاد الأقانيم في الجوهر الإلهي – وهذه أسرار فوق الإدراك وإنما يوصف حلوله بأنه "موهبة" (أع ١١:٧،١٠:٤٥) ويسميها كاتب العبرانيين في ٦:٤ "الموهبة السموية"...

والموهـبة ليسـت هـي الله لأن الله شئ والموهبة شئ آخر!! ولهذا فليس صـحيحاً مـا ذهب إليه البعض بأن معمودية الروح القدس هي الامتلاء بالأقنوم الثالث مما ينجم عنه أنه يكون مسئولاً عن أعمال وأحوال وأقوال المعتمدين به مما يسـتوجب أن كل من اعتمد بالروح لا يجب أن يخطئ قط لأن هذا تجاهل لحقيقة أساسـية وهـي أن الروح القدس لم يتحد بهؤلاء اتحاداً ذاتياً – أي أنه لم يأخذ جسـدنا ويجعلـه واحـدا مـع لاهوته – لأن هذا هو التجسد بعينه الذي يوصف بالاتحاد الذاتي وهو يختص بالمسيح وحده فهو الذي حل فيه اللاهوت حلولاً ذاتياً جوهـرياً، أما في المؤمنين فإننا ننال الروح كموهبة وليس كأقنوم بمعنى أن هذا الحـلول ليـس باتحاد ذاتي كما في حالة تجسد اقنوم الكلمة ولن يكون... ولذلك انفرد يسوع المسيح بالكمال فلم يخطئ قط بعكس حالنا نحن حتى من بعد الامتلاء

ومع أن قياس ملؤنا إنما هو ملء قامة المسيح، لكن ملؤنا نفسه إنما هو نسبي محـدود – فكيف يقال إذاً أننا نمتلئ بالله وببعضنا البعض لأن القس أمين نصرت يقول بالحرف الواحد: "أما مشكلتنا في الخضوع للرب أو لقادتنا أو لأزواجنا فهي مشكلة ملء فلا نحن ممتلئين بالرب ولا ببعضنا البعض"!!

ألا أكرم وأنعم بمثل هذا القول العجيب الذي لا نعرف له تفسيراً لأنه وإن كان أمامـنا كمـال واسع النطاق يجب أن نسعى إليه وعلينا أن نبلغه بالقيامة إلا أننا حتى حين نبلغه لن نصل به إلى مستوى كمال المسيح لأنه "الكمال المطلق" الذي يخصه وحده بسبب الاتحاد الذاتي الذي ألمحنا إليه من قبل بين لاهوته وناسوته، ولذلـك فـان امتلائنا نحن بالروح لن يتشابه مع ذلك الاتحاد الفريد ولا يصح أن يوصف بأنه امتلاء بالله وبالتالي ببعضنا البعض لأن في هذا القول يكمن التصور بأنـنا سنكون آلهة مثله، الأمر الذي لن يكون لأن خلطنا كمخلوقات في اللاهوت نوع من الشرك – تعالى الله جل شأنه عن ذلك ... وتنزه بتفرده الفريد!!

وفضلاً عن ذلك فإن الروح نفسه لم ينحصر في الناسوت ويتحدد فيه رغم أنه قد أعطي للسيد المسيح بدون كيل – **فكيف بهذه الفرق المستحدثة تحول ذلك الينا وتحصره فينا وتدمجنا معاً الأمر الذي هو في الواقع في حكم المستحيل بل أنه أقرب ما يكون للتجديف الذي هو وقوع في حق الله!؟**

أنظر إلى قوله : **"يجدون الآب ممتلئاً بالابن والابن ممتلئاً بالآب وهم في الابن والابن فيهم بعين هذه الكيفية الأمر الذي يدفعه للدهشة فيراه أمر اكثر من رائع!!** (ص٣١ من كتاب أنا والآب والابن) **وهو في ذلك يستخدم عبارات غير كتابية كوسيلة لإدخالنا في نطاق هذا اللاهوت العظيم والعبارة كلها هرطقة، وخاصة في قوله "بعين هذه الكيفية" !! فلا غرابة إذاً من استخدامه لكلمة التدفق الإلهي التي لا نجد لها معني ولا مكان في هذا المجال بالذات وليس لها سند كاتبي. الأمر الذي أوصله إلى هذا القول الغريب المريب وهو أن الآب كان في الابن خاضعاً وكان الابن في الآب آمراً وقد وصل بذلك إلى الطعن في الاختصاص الأقنومي بل وفى التمييز الأقنومي نفسه!!** (ص٢٠) **بل وصل به الحال إلى القول: بأننا نملك الآب الذي في السماء** (ص١ من الصلاة الربانية) **وما قاله عن الآب والابن فيما سلف ذكره إنما يتناسي مع تصريح الابن نفسه في قوله "لأن أبي أعظم مني"** (يوحنا١٤:٢٨).

• التفسير المنضبط لعبارة " شركاء الطبيعة الإلهية " :

وردت هذه العبارة في رسالة بطرس الثانية١:٤ وقد دار حولها وإلى الآن جدل كبير – ومن أهم شطحات بعض المفسرين القدامى وتسير في ركابهم الفرق المستحدثة قولهم: **"أن هذه الآية تعني اشتراك المؤمنين فعلياً في طبيعة الله وجوهره – وهذا تجديف فإننا ونحن مسيحيون نحيا كسائر مخلوقات الله وإنما قد صرنا بالطبيعة الجديدة التي أنشأها فينا الروح القدس شركاء الطبيعة الإلهية من ناحية صفاتها الأدبية كالبر والقداسة إذ حاشا لنا أن نكون شركاء في ذات الله مهما كنا قد وصلنا إلى أسمى الدرجات الروحية لأن ذلك لا يجعلنا شركاء في اللاهوت وإلا كان الله سبحانه يخطئ في المؤمنين فيما لو كانوا قد صاروا شركاء**

معـه فـي اللاهوت مما يجعل هذا القول الذي ذهبوا إليه محال...!! ولذلك فانه مرفوض رفضا باتا!!

وقـد أثـبت كيرلس على نفسه عدم استطاعته البحث في العلاقة بين الطبيعي والأخلاقـي فـي "شـركة الطـبيعة الإلهية" ومع أنه كثيراً ما ينتقل في شأنها من المسـتوى الطبيعي الكياني الواقعي إلى المستوى الأخلاقي الإرادي الأدبي (ص١٤ من كتابه) ولكنه يفعل ذلك لأجل إذكاء التقوى فقط إذ أنه قد عاد في هامش ص١٣ فهاجم بشدة "الذين يقولون أن وحدتنا مع المسيح إنما هي مجرد وحدة أدبية أخلاقية إرادية وليست وحدة كيانية طبيعية في جسد واحد" ثم يعود فيقول:

"لقـد صـار إذاً من الممكن الآن بواسطة التجسد والكنيسة أن تتحقق الوحدة بين البشرية واللاهوت وبالتالي الوحدة الفائقة التي تربط البشر بعضهم ببعض في المسيح" (ص١٦)

وجديـر بالذكـر أنه قد سبق لـه القول في صفحة ٧ بأنه: **"إذا كـان هو "أي المسـيح قد جمع في شخصه الواحد إلهاً وإنساناً فإنه قد كان بذلك يصير الإنسان شريكاً للطبيعة الإلهية"**

وهـو يستطرد في ص١٢ إلى القول: **وتقوم وحدة التجسد بين وحدة الثالوث ووحدة الكنيسة...**

ولذلـك فـإن هذه **الوحدة بذاتها القائمة بين الآب والابن هي التي يجب على الكنيسة تحقيقها في حياتها هنا على الأرض فهي وحدة حياة (يعني مشتركة بين الله والمؤمـنين) وحدة شاملة** ولكنها مع ذلك لا تنفي التمايز بين الأشخاص (نفس الصفحة ١٢) وهو يزيد على ذلك في الصفحة التالية رقم ١٣ القول: **"فالتجسـد إذاً هو الذي يشكل في الواقع مرحلة انتقال بين وحدة الثالوث (ويأخذ وصفها إلى ما يليها في القول) والوحدة الفائقة التي تتحقق في الكنيسة.**

فيـا لـلعجب ووآسفاه على أقوال قد صدرت من أحد أقطاب المسيحية الكبار **لـلذهاب إلى أمـور خياليـة لا تمت للواقع بصلة ولكنها الصوفية التي شطحت بكثيرين في المسيحية من قبل كما ومن بعد:**

فقـد سـار على ركبه "القس أمين نصرت" في تفسيره لآية (يوحنا١٤:٢٠)

ونصـــها "في ذلك اليوم تعلمون إني أنا في أبي وأنتم في وأنا فيكم" فيقول ساخراً مـــن أصـــحاب "بدعة يسوع وحده" فهل يعني هذا إننا نحن الآب وأننا نحن الابن أيضاً!؟ ويجيب بالقول أليس هذا نوع من الهذيان التفسيري (ص٣٠ من كتابه أنا والآب واحد)!!

ولكن هذا الهذيان الذي يشير إليه قد وقع فيه بتصوره بأن وجود المسيح فينا قـــد جعلنا متحدين به تماماً ومن كل وجه حتى أجاز سجودنا بعضنا لبعض معتبراً أن مـــثل هـــذا السجود موجهاً للمسيح نفسه وهذا واضح البطلان لأنه مبني على خلط المؤمنين بالمسيح وامتزاجنا معاً فيه مما لا سند له في كلمة الله لأن العقل لا يقبله كما أن المنطق يرفضه!!

بـــل قـــد وصـــل به الحال في شرح: "أن كل الملأ قد سر أن يحل فيه أي في المســـيح" في كونه "موضوع مسرة الآب" إلى القول: بأن "تلذذ الآب بالابن الوحيد هـــو التمجيد اللائق بالابن وهو يستطرد إلى قول المسيح للآب "مجدني عند ذاتك" ويـــرى فيهـــا هنا الابن الأزلي يطالب الآب بأن تكون مسرته بإنسانيته هي عين مسرته به في الأزل...

وقـــد بـــلغ إلى فصـــل الخطاب عند قوله: بأن هناك علاقة عرسية بين الآب والابن مادام للابن علاقة عرسية بالكنيسة!!

الأمـــر الذي عبر عنه بالقول: "فكما أن كل مسرة الآب في الابن كذلك مسرة الابـــن في كنيسته عروسه (ص٣٥) الأمر الذي بنى عليه وجود علاقة عرسية بين الآب والابن فليتفضل حضرته ويرينا إياها!!

ألا تدهشـــنا هذه التفاسير قديمها وحديثها!؟ أو لا تستحق منا أن نستخدم نفس العبارة التي يحلو للقس أمين نصرت أن يستخدمها وهي "رفقاً بعقولنا يا سادة"!! ولقد سلك على نفس الدرب القس لطيف فهيم فى نشرته "أنا فيهم" الصادرة فى ٩ /٨/١٩٨٥ بقولـــه : "ايـــن الحـــب الـــذى أحب به الآب الابن؟ واين المسيح فى الكنيسة؟ ان الحب المطلوب هو حب الوحدة كالذى بين الآب والابن" هو حب الفكر الواحـــد والـــنفس الواحدة .. والكيان الواحد .. ثم يعود فيصفه بالمثالية الكتابية التى يندر وجودها. وهذا يناقض تماما الاعلان السابق عنها!!

وردنا على هذه الترهات كلها نلخصه فيما يلي كختام لهذا الفصل الرائع فنقول: لقد أرسل الله ابنه في "شبه جسد الخطية" (رو٨:٣) معلناً بذلك أنه لم يأخذ جسداً سرت فيه الخطية كأجسادنا، ورغم انه قد قبل آلامنا التي سببتها لنا الخطية، لكنه ظل القدوس الذي لم تعرفه الخطية لولادته من عذراء مقدسة طاهرة لكي لا يشاركنا في الخطية الأصلية أما الخطية الفعلية الإرادية فلم يعرفها قط!!

وواضح من مسحته بالروح في الأردن – الذي حل عليه مثل حمامة ليميز بيننا وبينه لأنه حين حل على التلاميذ في العلية يوم الخمسين كان كنار علامة للتطهير لأنهم محتاجين إلى ذلك – فإنهم ليسوا كيسوع الطاهر في ذاته والذى لأجل ذلك حل عليه الروح كحمامة...

ومع أنه الله في ذاته – في غير حاجة إلى ملء – ولكنه هو بإرادته جعل نفسه محتاجاً إلى ملء الروح كإنسان – وهذا سر عجيب ليس بمقدور العقول الوصول إليه ولا استيعابه مما يؤكد أن لا وجه للتشبيه بيننا حتى لو قيل من قبل أصحاب التفاسير الغريبة بأنه تشبيه مع الفارق.

وذلك لأن اتصافه بالوجود المطلق لم يجعله محدوداً ولا مقيداً بأي حال من الأحوال وذلك رغماً عن أنه في تجسده قد ظهر لاهوته ظهوراً تاماً في ذلك الجسد لكنه لم ينحصر فيه ويملأه فقط بل بقي وجوده كما هو لا متناهي **ونظراً لأن الله هو الذي ظهر في جسد يسوع المسيح وإذاً فإن يسوع المسيح هذا هو الله الظاهر في الجسد – وبالتالي فإنه بلا منافس ولا شريك ولا مثيل فإن حقيقته ليست حاصلة لغيره بتاتاً إذ أنه ينفرد بالتميز وعدم المماثلة!!**

وذلك مهما تكن محاولات أهل التقليد حلول جسده الحقيقي في الأفخارستيا وتأليه من يأكلها على أساس اندماج مثل هذا الأكل فيه وكذلك تفسيرات الفرق المستحدثة التي زعمت الاتحاد الكامل والشامل بين جسده الطبيعي (الحقيقي) الذي أخذه من العذراء وبين جسده السرى (التشبيهي) الذي يحمل بتشكيله هذا إسم "الكنيسة"!! الأمر الذى استدعى المحدثين الى الخلط بين وحدة الكنيسة الروحية والوحدة الجوهرية القائمة بين الاقانيم فى الجوهر الإلهى الواحد!!

نوع ومجال الوحدة في يوحنا ١٧

ليكـــون الجميع واحداً... ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا... ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد... ليكونوا مكملين إلى واحد" (الآيات٢٣،٢٢،٢١،٢٠).

• إعلان الوحدة في يوحنا ١٧ ميدان مشاحنات :

تـــبدأ المشاحنات هنا بالتفسير الذي يقدمه القس أمين نصرت في هذا المجال بدءاً بما جاء في يوحنا ١٤:٢٠ ونصه :

"في ذلك اليوم تعلمون انى أنا فيّ أبى وأنتم فيّ وأنا فيكم"

فقـــد أورد حضـــرته تـــرجمة لزورويك عن كلمة "تعلمون" بأنها "تعلمون في أنفســـكم".. وهـــو يرى بأنه ليس هناك حل لهذه المعضلة اللاهوتية – من وجهة نظره – سوى ما سيفسر النص به ألا وهو: "أنهم يجدون كينونة الابن الوحيد في أبيـــه وكينونة الآب في ابنه متمثلة فيهم فينظرون داخلهم وينظرون إلى بعضهم بعضـــاً فيجدون الابن الذي كينونته هي حضن الآب ويجدون الآب الساكن في نور لا يدني منه (١تى٦:١٦).

وهـــو يشيد بتفسيره هذا معقبا بالقول: "كم هو أمر أكثر من رائع.. كم أنه أمر يفوق الإدراك لا يعبر عنه!!؟؟ صفحة ٣١ من كتابه: "أنا والآب واحد" .

وقد قال كيرلس في كتابه: "الكنيسة جسد المسيح" ص٢٠ ما يشابه ذلك فهو يذكـــر فـــي هـــذا الصدد الآتي نصه: "وبالفعل إذا كان روح الله الواحد يسكن فينا جميعاً فإن الآب الواحد الذي للجميع سيكون هو إلهاً في داخلنا"

ثم هو يتجه إلى ما يقول عنه "المعني الروحي الأكثر عمقاً فيما طلبه من هوشع النـــبي أن يـــتزوج بامرأة زانية فيقول من جهة ذلك بأن معناه: "أن الله في رحمته اللانهائيـــة يسير بالخطوات الأولى نحو الطبيعة الآثمة لكي يتحد بها!! أليس هذا هو معنى اتحاد النبي بالمرأة الخاطئة!؟ (ص٣٥).

وهـو يسـتخدم عـبارة "الوحدة مع المسيح والوحدة مع الآب في التعبير عن العلاقـة سالفة الذكر إذ أنه لم تكفه في وصفها كلمة "الاتحاد" بل زاد الأمر اتساعاً باستخدامه كلمة "الوحدة" (ص٢٩).

وفي شرحه للنص الذي بدأنا به هذا الفصل وجدناه يقول (في ص٥٢):

"ونظـراً لأن "الكلمة" أخذ الجسد البشرى، لذلك أصبح فينا إلا أن الآب فيه... فكأنـه يقول: بما إني فيهم بسبب أني أخذت الجسد الذي لهم، وأنت أيها الآب فيّ بسبب أن لي نفس الجوهر الذي لك لذلك أريد أن يتحدوا هم أيضاً بعضهم ببعض في وحدة معينة... وهو ينتهي إلى احتواء البشرية في المسيح!!

• •

وواضـح مـن كل ما تقدم ذكره الخلط فيما بين الحلول والامتلاء فإن الحلول الذي تم به "الاتحاد الذاتي" بين اللاهوت والناسوت في المسيح يختص به وحده ولا يصح أن يقال فيه أن الآب ممتلئ بالابن والابن ممتلئ بالآب ولأن الابن يقول في هـذا الصـدد "الآب الحال فيّ" كما قيل عنه أيضاً لأن فيه قد سر أن يحل كل ملء اللاهـوت جسـدياً – كما سبق البيان وفي قوله بأن "الابن" **فينا بعين هذه الكيفية تجـاوز لا يجيـزه العقـل ولا بالمنطق السليم لأن كيفية الحلول في الابن لا ولن نقـارن قط بامتلائنا بالروح أي موهبته وقوته ليس إلا...** وهو كما سبق إن قلنا امتلاء نسبي ومحدود!!

أما نظرنا للآب والابن في داخلنا نراهما في بعضنا البعض مع استخدام القس أميـن نصرت لفظه "الكينونة" هنا في وصف وجودهما بلا داعي بل أن قوله عن الابـن أن كينونـته هي حضـن الآب إنما هو تنميق في الألفاظ من غير أساس وخروج عن النص الذي وصفه فقط بأنه: "الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب" (يـو١:١٨) **فمـاذا وجد حضرته من عيب في وصفه بالذي هو في حضن الآب حتى يبدله بالكينونة! هذا وقد خانه التوفيق في اقتباسه عن الآب بأنه الساكن في نور لا يدنى منه، لأن هذا الوصف قد جاء عن ربنا يسوع المسيح بحصر اللفظ...**

الـذي وصف أيضاً بملك الملوك ورب الأرباب (ومن جهة لاهوته) له وحده عدم الموت ساكناً فـي نور لا يدنى منه الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه (١تيمـو الأعـداد ١٤-١٦) فما عساه أن يقول بالنسبة لهذا الخلط الغريب بالنسبة لكونه يعتبر علامة بين المفسرين والضليع في تفسيراته وخاصة لدى مجموعته!!

• الوحدة في نظر القس أمين نصرت والتي يرى بأنها لا تمس التنزيه :

أمـا بالنسـبة للنص الذي بدأنا به فإننا نعود إليه لنقول: "بأنه ليس بغريب أن القس أمين نصرت يقف متعجباً إزاء هذه الوحدة المتماثلة في نظره بين طرفين لا وجـه للمقارنة بينهما فوجدناه ينسب تفسيره للمسيح من جهة ويزعم من الجهة الأخـرى بأن ذلك لا يمس كمال تنزيهه حيث أنه قد قبل ذلك باختياره فينسي أن التنزيه بالنسبة له إنما هو بطبيعة الجوهر لا باختيار الإرادة!!

فمـا هذا الذي ذهب إليه ليخوض به في شخص المسيح المبارك غير عابئ بأن الكلمات التي نطق بها عنه إنما هي من قبيل التوسع في تفسيرات يستخرجها الخيال البشرى لمن يرغب في ذلك لأغراض "لا تخفى على اللبيب" تتركز جميعها في السعي لتحقيق المساواة مع المسيح. وقد أعترف هذا الشارح نفسه بأن إدراكنا قـد لا يصل للكيفية التي تكون بها وحدتنا مع أن وحدتنا روحية مفهومة، ومع ذلك فـأن كـان الأمـر هكذا بالنسبة لوحدتنا فكيف جاز لـه - رغم اعترافه هذا - الادعـاء بأنه وقف على شكل وحدتنا نحن المؤمنين ورآها أنها على مثال وحدة الآب والابن مؤكداً ذلك بقوله بأن الابن فينا بعين هذه الكيفية - التي أقر في نفس الوقـت بعجزه عن إدراكها - فكيف إذاً قد وقف عليها ليجعلها مادة تفسيره لكلام السيد المسيح في هذا الصدد!!؟

عـلماً بأننا لسنا نحن الذين نكون وحدة الكنيسة بل هي عطية من الله أنشأها الروح القدس، وإنما علينا أن نحافظ عليها فقط.

فأن الكنيسة الحقيقية واحدة لأن الله أوجدها هكذا أنها وحدة روحانية باطنية لا يمكـن إنكارهـا وإنمـا هـي بحاجة إلى إبرازها في وجه الانقسامات الدخيلة

بأنواعهـــا!! وهى قائمـــة فى المسيح أمام الله من المؤمنين الحقيقيين المرتبطين بالروح!!

وعـــندما نـــتابع فحص النص نفسه نجده يحذرنا مما ذهب إليه أمين نصرت حالياً ومن قبله كيرلس الكبير – فهو لا يظن بأنه وحدتنا هي عين وحدة الثالوث أو أنهـــا عـــلى مثال تلك الوحدة – بحصر اللفظ – لأنها لا وان تبلغ إلى الوحدة الجوهـــرية التي للاقانيم الإلهية فالحذر من التجاوز إليها هنا ينبغي أن يكون باتاً و– حاسماً – يمنعنا من ذلك قوله الوارد في (يو١٧: ٢٣) وتفسيره هو : "أنا فيهم وأنت فـــيّ" فأنه لم يقل هنا هم فيك وأنا فيك بـــل "أنت أيها الآب فـــيّ وأنا فيك" (١٧: ٢١) وذلك لسببين:

الأول : اختلاف حلول الآب في الابن عن حلول الابن في المؤمنين وبسببه قد اكـــتفي بالقول : "أنا فيهم ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" وبذلك نجد أن المسيح لم يخلط نفسه قط مع تلاميذه وهو يظن وحدته مع الآب...

الثاني : ويشير إليه القس أمين نصرت مستندا فيه إلى ع٢٢ بقوله: وأنا قد أعطيـــتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً فإن حضرته يقول عن ذلك: "وهنا نلاحظ أن الابن الوحيد قد أعطى كنيسته المجد الذي قد أعطاه إياه الآب وهو الذي تم إعطائه له فوق جبل التجلى (٢بط١: ١٧) وهذا المجد هو إعلان الآب أن الابن الوحيد هو مسرة الآب وأن تلذذ الآب بالابن الوحيد هو التمجيد اللائق به... الأمر الـــذي اســـتنبط منه حضرته وقد خلط المجد بالمسرة لأجل المساواة بين الكنيسة وبينه بالقول: "فكما أن كل مسرة الآب في الابن كذلك كل مسرة الابن في كنيسته عروســـه... حســـب قوله "كل ما لي فهو لك... وأنا ممجد فيهم"... (ص٣٥ من كـــتابه أنـــا والآب واحد) ومادام هو يخلط المعاني هكذا فأننا نرد عليه بالتي هي أحسن بقولنا مبدئيا ان المجد الذى كان للمسيح فى التجلى كان اعلانا عنه كالابن الوحيـــد لا كـــالابن الحبيب – كما فى الأردن – "وأما المجد الذي يقدمه المسيح لتلاميذه في ع٢٢ فإنه يختلف عن المجد الذي يريد من الآب أن تلاميذه يرونه في

ع٢٤ فأن المجد الأول هو "مجد الحلول" مصداقاً لقوله في ع١٠ "وأنا ممجد فيهم" فليس هو مجد المستقبل الأبدي وهو المقصود في ع٢٤ والمجد الأول يعني أن لا رجاء في وحدة المؤمنين ما لم يحصلوا على حلول الابن بمجده فيهم... وهذه هي الغايـــة مـــن تجسد المسيح، - وهي أسمى من منطق العقول لأنها خبرة محبة وإيمـــان مما يجعل الوحدة أمر واقعي بل وواقع مذاق وهو بالتالي أعلى نقطة في الإعـــلان المســـيحي لأن بها يتم اتحاد المؤمنين الحقيقيين بالرب اتحاداً روحانياً عجيباً!! وهذه الوحدة روحانية وليست اندماجية ولا جوهرية!!

• •

• المعنى الحقيقي لآية يوحنا ١٤:٢٠

أمـــا عن نص (يوحنا١٤:٢٠) فيفسره ويسلى هكذا: "حينما ترونني بعد قيامتي تعـــلمون أنـــي أنـــا في أبي وسوف يستعلن لكم هذا الحق بصورة أعظم في يوم الخمسين.

ويفسرها د. القس إبراهيم سعيد بقوله :

"فـــي ذلـــك اليـــوم - يوم الخمسين حين يأتي إليهم المسيح بروحه متمماً ما وعدهم في ع١٨ من أنه سيأتي إليهم ولا يتركهم يتامى سيعلمون علم اليقين بأن المسيح - الابن - هو في الآب - لأنه متحد اتحاداً حيوياً وأنهم هم أيضاً فيه... وهـــذا ضمان قبولهم لدي الآب يؤكد ذلك ما جاء بعده في نفس العبارة "وأنتم فيّ وأنا فيكم"...الخ

أما الأب متى المسكين فيقول شرحاً على هذه الآية نفسها :

بأنـــه ذلـــك اليوم هو بلا شك يوم الخمسين الذي فيه حل الروح القدس وهو روح الاستعلان والكشف وأول ما سيستعلنه ويشهد لـــه هو أن "يسوع المسيح" هو "ابن الله"... وعلى مدى سفر الأعمال كله والرسائل يشهد الروح القدس أن المسيح هـــو "ابن الله".. وهكذا تم قول الرب أن: "في ذلك اليوم تعلمون إني أنا في أبي".. وهـــذا اصـــطلاح لاهوتي يختص بطبيعة الله، أي جوهره الذي هو إلوهيته فالآب

والابن جوهرهما واحد، ولا يوجد ثنائية في جوهر الله لأنه بسيط غير منقسم ولا مركب إنه ذات واحدة كاملة كمالاً مطلقاً أزلياً وأبدياً... وذلك لأن الآب والابن هما بطبيعة الجوهر متحدان ليكونا الذات الإلهية الواحدة – التي لله ومعهما "الروح القدس"!

وعندما أعلنت هذه الحقيقة بعد التجسد أكمل الروح القدس الشهادة للمسيح أنه "ابن الله" وواحد مع الآب الأمر الذي صار محور الكرازة وأساس الخلاص!!

"وانتم فيّ وأنا فيكم" – المتكلم هنا هو الابن المتجسد ولولا أخذه الطبيعة البشرية واتحاده بها ما استطاع أن يقول هذا القول – فهو الذي أوجد لنا "شركة" معه وفيه – وهذه هي الشركة التي دعانا إليها – وهي أيضاً "اتحاد" ولكن هناك فرق شاسع بين وحدته مع الآب وهي على أساس وحدتهما في الجوهر الإلهي، أما الاتحاد الثاني معنا فهو لا يرفع الفوارق ولا يوحد الذوات وإنما هو مجرد شركة تتحقق منذ الآن جزئياً، وقليلاً قليلاً... وهي تنمو بشفافية الرؤيا التي بها تدرك النفس حقيقة المسيح بالإحساس الواعي لحضوره الإلهي...

وهذا نوع من الاتحاد الروحي العميق تكتسب منه الروح الإنسانية تكاملاً جديداً به تنمو هذه الشركة وتثبت الى أن تكمل بالانتقال من هذا العالم!!

أما تفسير د. فرنسيس دافدسن المعمداني فيكتفي فيه بالقول :

"أن مجيء المسيح هنا في قوله لهم لا أتركم يتمامي هو التعزية النهائية وفيما ألحقه به نرى وعدا لتلاميذه بظهور سيكون ختم تأييد وحدته الجوهرية مع الآب!

ونكتفي بهذا القدر من المراجع حيث أنها تكشف بوضوح عن المعني الحقيقي لآية١٤:٢٠ من يوحنا، وواضح أنه ليس فيها أي مما أثاره القس أمين نصرت والذي يمثل فيه الحضورية القائمة بين الآب والابن بحضورية الله في كياننا أنا وأخي وأختي وجماعة الرب...

أما تفسيره للقول: "المجد الذي أعطيتني أنا أعطيتهم" والوارد في ص٣٥ ويقول فيه: "أن الكلمتان "أعطيتني وأعطيتهم من فعل" يعطي وأنهما في الزمن

الماضـــي الـــتام والذي يعلن أن الفعل قد حدث ومازال تأثيره وفاعليته مستمرة. فـــالمجد الـــذي أخـــذه المسيح من الآب ومازال يأخذه... قد سكبه على خاصته ومـــازال يســـكبه: وقد سبق أن وضحنا معني "المجد" في هذا المجال وخاصة أنه يستند فيه إلى قول المسيح في صلاته الشفاعية: " وأنا ممجد منهم" (يو١٧: ١٠)... وهو "الحلول فيهم".. **وأياً يكون معني الإعطاء هنا واستمراريته فلسنا ندرى معنى وصـــفه بأنـــه مســـكوب عـــلى خاصته ومازال ينسكب – فماذا يكون هذا المجد المسكوب لأن ذاكر العبارة لم يستطع أن يدلنا عليه – وألم يكن من الأجدر به أن يـــراعي بســـاطة المعـــني الـــذى سبق أن ذكرناه بأنه مجده في خاصته ليس إلا** مـــتجاهلاً بذلـــك قول المسيح لمعاصريه الوارد في نفس إنجيل يوحنا أص ٤٤:٥ ونصـــه: **"كيـــف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض. والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه"** وقد سبق لـــه أيضا في عدد٤١ القول: "مجداً مـــن الناس لست اقبل..." **ومن المعلوم أن المجد المقصود هنا "هو التكريم"** الذي ورد عـــنه فـــي نفس الإصحاح الأعداد٢٢-٢٤ "بأن الابن يحيى من يشاء.. وقد أعطيت كل الدينونة للابن **لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب"** وقد ورد على لســـان المســـيح نفسه القول التقريري في مواجهة معاصريه وهو **"ولكني أكرم أبي وأنتم تهينونني"** (٤٩:٨)

وبالـــرجوع إلى ما جاء في يوحنا٣٩:٧ نجد القول: "قال هذا عن الروح الذي كـــان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد. **لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد"! ولتبيان سكب المسيح للروح – وهو مازال يسكبه – والـــروح بحسب المفهوم الصحيح ليس هو المجد ولا صحة للخلط بينهما – وقد جاء عن ذلك النص الوارد في أعمال ٢:٣٢،١٣ الوارد به: فيسوع هذا أقامه الله ... وإذ ارتفـــع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه"! فما بال القس امين يتجاهل هذا الوضوح بما يرتأيه!!**

• وحدة الكنيسة الحقيقية وحدة روحانية سامية :

هذه الوحدة الروحية **إنما هي تجميع روحاني** – وليس اتحاداً ذاتياً لنا بالمسيح

– وهـذا الـتجميع منذ البداية **لن يزول أو ينفك تحت أي مؤثر وليست هناك قوة تبطله وهو الذي تحدى إطار التاريخ والأوضاع الراهنة** وثبت بحالة فائقة للتصور والخيال وصفها فم الذهب بقوله:

أن الـروح القـدس هو رباط وحدة الكنيسة فهو الذي وحد الأفراد المختلفين **وصيرهم واحداً لا فرق فيما بينهم** وذلك لأنه لم يكف **منذ يوم الخمسين** عن العمل الدائـب فـي الكنيسـة **للمحافظة على وحدتها وذلك لأنه هو الذي وحد البشرية الجديـدة فـي جسـم واحـد** فـازال بذلك جميع الفوارق الجنسية ورفع الحواجز العنصرية **وعجن هذه البشرية (الجديدة) عجنة جديدة متجانسة** وذلك بفعل الاتحاد فـي جسد المسيح السرى – مع أن تحقيق هذه الوحدة بين جميع المؤمنين حالياً من الوجهـة الماديـة أمر مستحيل لعدم إمكان تواجدهم في مكان واحد **إلا أن وحدتهم الروحية قائمة بسبب وحدانية الروح...**

هذه هي الوحدة الأصلية الرابطة لجميع القديسين معاً منذ البداية إلى النهاية – وهي فعلاً رباط الكمال في دائرة الكنيسة الحقيقية – فهل هناك من يقبل التصدي لحقيقـة توحيـد المؤمـنين بالروح القدس في الجسد الواحد (التجميعي) المنسوب للمسـيح!؟ وهـل يكـون القول المستحدث باعتبار ان المسيح هو الكنيسة صائبا ومقبولا!؟

• شرح المعانى الصحيحة لأنواع الوحدة الواردة فى يوحنا ١٧ :

لاشك أن وحدة الكنيسة الحقيقية هي ذروة التدبير الحاضر الذي بعد أن اجتازت خطـة الله فيه عبر الأجيال يشرف الآن على نهايته – التي اتجهت إليها كل أحداث الـتاريخ **ولا شك أن الحركة الكارزماتية التي أقامها الله منذ بدء القرن العشرين هـي خيـر رباط يجمع أفراد الكنيسة الحقيقية معا ويوحدهم بالله!هذا هو طريق الخـلود السعيد فأنه شركة اتحادية بيننا وبين الله – وهي لا تعني تحول الطبيعة البشرية إلى إلهية ولكنه اتحاد روحاني يؤهل الطبيعة البشرية للحياة مع الله!!**

وقـد تضـمن الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا إعلان عن الوحدة في

صـــلاة المســـيح الشـــفاعية ونجد فيه أربع دوائر من الوحدة نتأملها على الوجه الآتي:-

الأولي : وحدة وقائية

"أيهـــا الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني **ليكونوا واحدا كما نحن ... لست أسال أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير**" (العددين١١و١٥) **والوحـــدة المقصـــود هنا هي الانعزال الكامل من العالم والشرير الذي يتحكم فيه حالياً**... والمسيح يطلب للمؤمنين هذه الوحدة لأنهم مضطهدون من الشرير رغم أن لهـــم عمـــل خطير – وهو يطلب من الآب أن يحفظهم وهم في العالم ولا يأخذهم ســـريعاً مـــنه أياً كانت مضايقات العالم لهم، **ولذلك فقد طلب أن يوحدهم لتحفظهم وحدتهم من فساد العالم وتهديده لحياتهم!**

فـــالوحدة المطلوبة هنا **هي أساس الحفظ** "**احفظهم ليكونوا واحداً** والوحدة هنا ليست مجرد ألفة العشرة ورابطة المودة والاتفاق في الرأي والمشورة **بل هي وحدة طـــبيعة الخليقة الجديدة التي تأخذ قوتها وتحقيقها وانسجامها الفائق من المسيح وفيـــه... هذه الوحدة لا تأتيهم من خارجهم كأنها مفروضة عليهم بل هو يطلبها لتنشأ فيهم من داخلهم وذلك بثبوتهم في** اسم "الآب" الأمر الذي استجاب لـــه الآب **بقـــوة بوحدتهـــم في يوم الخمسين... فإنه في إرسال الروح القدس وعمل قوته الفعال تظهر الكنيسة الوحيدة الموحدة!!**

إذ من المؤكد أن مصدر وحدتها هو "الروح القدس" حتى قال إيريناوس: "**حيث يوجـــد الروح هناك الكنيسة**" وواضح أن شركة الروح هنا ليست رابطة للمؤمنين برأســـهم فقـــط بـــل ببعضهم البعض **وحتي إن إنقسم بينهم أدعياء يشوهون هذه الشركة الموحدة لهم فإنهم لن يستطيعوا أن يدمروها قط!!**

أمـــا الوعـــد بذلـــك الحفظ فأنه يتم بإدخال التلاميذ **في مجال فعل اسم "الآب"** والتمسك بقوة هذا الاسم **وهو قادر بحد ذاته أن يوحد المؤمنين ويرفع الفوارق من طـــبائعهم ويخـــفي ذواتهم عن أعينهم ويخلي مشتياتهم من أنفسهم فيتحرك فيهم الروح ويتوقف بذلك جذب العالم لشهواتهم!!**

أمـا نـوع الوحدة التي يطلبها المسيح لهم – **فإنها ليست مجرد حفظ للعلاقات الأخويـة بأنـاة واحتمال أو تعاون في العمل بل هي لتقديم الرسالة إلى العالم** – ولذلـك فهو حفظ هنا من "الشرير" ويقصد به الشيطان بالذات **لأن الشر في العالم نابع منه** وهو الذي يعيش البشر عادة في قوة شره وإغوائه **ولذلك طلب المسيح من الآب أن يحفـظ المؤمنين منه أي من سلطانه وتأثيره (كالمخادع والمقتحم)** وذلك ليس من جهة أعماله الظاهرة فقط بل ومن سلطانه الخفي غير المنظور حتى لا يقع أحد من المؤمنين في حبائله!!

وذلـك لأن العـالم الذي صار بفعل الشرير مركز الشر قد أوجد فيه المسيح مركزاً للشهادة – وهذا الحفظ معين للمؤمنين – وسط الشر والأشرار أن يرفضوا المسـاومات ويهربوا من أعداء إبليس واغرائه – وذلك لأن من ينسحب من هذا العالم ليحيا لله يدخل مباشرة في مواجهة سافرة مع العدو واتباعه ولذلك فإن الكنيسة الحقيقية تنتظر من العالم الضربات الموجعة (أع٥) **وهي تحسب أن الخدمة الأفضل هي التي تأتي بضربات أوفر!!**

أما عن الحفظ نفسه فقد أشار إليه المسيح مرتين مرة في قوله: حين كنت معهم فـي العالم **كنت أحفظهم** والأخرى في قوله الذين أعطيتني **حفظتهم** والكلمة الأولي تعني "**سهرت عليهم**" Kept them بالتعليم واستعلان الحق فحميتهم من جذب العالم لهـم وذلك بأن حصرت قلوبهم في دائرة معرفتك ونتيجة لذلك لم يفقد منهم أحد... وأما الثانية فتعني الحراسة Guard them.

وهـو يقول عن ذلك: "بأني أتكلم بهذا في العالم ليكون فرحي كاملاً فيهم" **فإن التلاميذ هنا بهذا الكلام يسمعون حديث السماء ويشعرون بوجودهم الروحاني في حضـرة الله** – وهذا الحديث يشددهم بالفرح الأخروى – الفرح الكامل (يو١٦:٢٤) وهو فرح الذين سلمهم لحفظ الآب القدوس!!

وهو يصلى هنا لا لأجلهم فقط بل لأجل الذين سيأتون بعدهم على مدى الحياة لكي تحميهم شفاعته من الضعف والهزيمة إلى مجيئه الثاني وهو يعلن في حديث العلية هذا بأنه قد انتصر على العالم (يو١٦:٣٣)

الثانية : وحدة اكتمالية

"أنــا فيهــم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد" (يو١٧:٢٣) يعلن الوحي هنا بهذا القول الوارد في صلاة المسيح الشفاعية عن توحد المؤمنين وأنهم بذلك يكونون مكمــلين إلى الواحد وهو شخصه... وهنا نتبين أن هذه الوحدة ليست هي شركة فــي وحــدة اللاهــوت أي في الجوهر الإلهي بصفاته السامية إذ أن بلوغ وحدة المؤمــنين إلى وحــدة الأقــانيم في الجوهر الواحد – جوهر الذات الإلهية – أمر متعذر، لذلك فهو مستحيل... لأنه يخص الله سبحانه وحده!!

وإنما وحدتهم هذه إنما في تجمعهم وارتباطهم برأسهم الواحد فيصبحوا مكملين فيــه – وليســت الإشارة هنا إلى تذبذب الكنيسة بين حالي النقص والكمال وإنما البلوغ إلى قمة الوحدة عند نهاية وجود الكنيسة الحقيقية على الأرض فهذا البلوغ هــو تاجها الذي فيه كمالها وهو الذي عبر عنه بولس "بادراك الكمال" أي أن الله الذي بدأ عمل هذا الاتحاد في المؤمنين بالروح القدس سيصل به إلى كماله وذلك بــتكميل جســد المســيح عند اتحاده بالرأس ليبلغ المؤمنون بذلك إلى ملء قامة المسيح – وهذا هو الإنسان الكامل الذي ترتبط فيه الكنيسة بالمسيح وهو بطبيعة الحــال يتسم بالكمال ويتدرج مع الزمان إلى زمن النهاية الذي سيتم ظهوره فيه ويتحول الجسد عندئذ إلى "عروس"!! مما يستوجب انهاء المشاحنات القائمة نحوه الآن!!

ومــن ثم فإن معنى "الاكتمال" هنا هو أن كل مؤمن يأخذ مكانه المعين له في هــذا الجســد وهــو ما يقوم بعمله الروح القدس الآن إلى أن يتمم تجميع شمله فيظهره في المجد وذلك في فخامته وروعته مما سيكون موضوع دهشة للجميع!!

لقــد قــبل المســيح بمــا يفوق الإدراك أن تكون "الكنيسة ملئه" (أف١:٢٣) والمؤمــنون مملــنون فيه (كو٢:١٠)، ومن ثم فإن ملء اللاهوت يحل فيه، وهو الــذي يملأ الكل في الكل والوحي هنا يستعمل لفظتين مترادفتين في شأن المسيح وشــأن كنيســته الحقيقيــة فإن كان هو ملء اللاهوت من قبل الله نحونا فإننا قد

صـــرنا مملوءين فيه من نحو الله فالله لا ينظر إلينا إلا إذا كنا في المسيح أمامه وهـــذا هـــو مطـــلع المعني الذي يتبادر إلى الذهن المستنير تلقائياً، وإنما يكتمل المؤمنون فيه بجمعهم إلى شخصه العظيم...!!

فإنمـــا ذلك لكي يظهر مركز الوحدة الوحيد الذي فيه يتم التجميع والاكتمال. ولذلـــك فإن كل المؤمنين الحقيقيين في كل الأماكن والعصور يلتقون في المسيح ويتحدون معا فيه اتحاداً روحانياً دائماً أبدياً...

ونـــتيجة ذلـــك الحتمية إننا نصير متحدين بعضنا ببعض، لأننا نكون بذلك قد أخذنـــا من روحه وصرنا واحداً ومكملين فيه دون أن نكون مساوين لـــه، إذ أننا سنكون ملئه ومكتملين فيه وبه بهذا الكمال الذي يتم عند لقائنا به وإنما يتم ذلك بضـــم الجسد (الكنيسة) إلى الرأس (المسيح) ولكن التماثل معه هنا لن يكون تاما ومطلقا!! كما يتراءى لدى مجموعات الفرق المستحدثة!!

ومن المؤكد أن هذا التكميل المشار إليه إنما يحدث ويبلغ تمامه بمراعاة الأمانة لشـــخص المســـيح فهي الأساس الوحيد لإيجاد هذه الوحدة التكميلية فيمن يرغبها ويريدها. ويدخل في نطاق معناها سائر الفضائل والصفات الايجابية!!

ولذلك فان هذه الأمانة تعني بالضرورة الالتزام بما يلي :-

١- عدم الاعتراف برأس آخر أياً يكون سوى "المسيح" فعلى كل مؤمن حقيقي أن يتمسك بهذا الرأس الذي توجد فيه الوحدة الحية...

٢- كذلك ينبغي أن لا نعرف كنيسة سوى كنيسة جميع المؤمنين المقدسين بالكلمة والروح فهم جميعاً جسد المسيح وهو رأسهم. وقطعاً هي تتمثل في كل جماعة تجـــتمع معـــاً عـــلى أساس هذا المبدأ ولن تمثلها تلك الجيوب المنعزلة التي ظهرت مؤخراً في "الفرق المستحدثة" تحت قيادات بشرية وبنزعات مشبوهة وهـــي ليست سوى صورة مزيفة للكنيسة بل من وسائل تحطيمها لولا عناية الله التي تقوم بحفظها!!

٣- هذه الكنيســـة تجتمع باسم المسيح في أي مكان متاح لها، وتقبل كل الذين

يقبلهم المسيح بالرباط الواحد "روح الحق" الذي يجعلنا واحداً في المحبة، في الإيمان، في الرجاء... الخ.

٤- هكذا تجتمع كنائس القديسين حول ربنا المعبود، رافضين كل سيادة غير سيادته، وكل وصايا (أي تقاليد قديمها وحديثها على حد سواء) غير كلمته المدونة في كتابه الذي فيه كل الكفاية للمؤمنين الحقيقيين فيمن يتوفر فيهم الإخلاص والتمسك بالكلمة وتفسيرها الصحيح الذي سبق أن بيننا طريقته في فاتحة هذا الكتاب!!

هذا ما نقوله ولنا الرغبة الصادقة في أن يعرفه الجميع ويتحققون منه إذ أن التعبير نفسه يمتد إلى أننا ونحن في المسيح يقترب إلينا كل ملء الله... وكان بالإمكان أن نفزع من ذلك لولا أن نفس هذا الرسول يطلب لقديسي أفسس أن يمتلئوا إلى كل ملء الله (أف٣:١٩) لأننا بتوجهنا نحو هذا الملء نصبح مملوءين فيه فلا نحتاج إلى شئ خارجه لأننا في كل ملء اللاهوت الذي له نمتلك كل شئ ولكن يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك لكوننا بموجب هذا التعبير نجد أننا فيه أمام الله في كماله المطلق بموجب اللاهوت الذي حل فيه جسدياً (أي في حالة تجسده وظهوره كإنسان)!! **أما القس أمين نصرت فله رأى آخر في هذا الموضوع ويثبته فيما يلي :-**

نكتشف من هذا النص (يو١٧:٢٣) اكتشافاً خطيراً وهو أن الآب في الابن والابن فيهم... **هذا ليكونوا مكملين إلى واحد** وأن "إلى" وهي "أيس" **في اليونانية فيها معني الحركة الديناميكية... وهنا نكتشف أننا لن نتكمل إلى واحد... إلا بكينونته فينا...** (وهو يقتبس لتأييد رأيه هذا لما ورد في (أفسس ٣:١٣،١٢) وقد جاء في هذا النص ذكر **تكميل القديسين... بنيان جسد المسيح...**

وإلى أن ننتهي جميعنا.. إلى وحدانية الإيمان.. ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة المسيح (صفحتي ٣١،٣٢ من كتابه أنا والآب واحد) مع أن هذا التكميل هو البلوغ بحياتهم الروحية إلى الدرجة المطلوبة في حياة الكمال وذلك بفعل عمل الخدمة الوارد ذكره في نفس النص بين التكميل والبنيان!!

ويقـول وسـلى في تفسيره لهذا النص بأن في القول "مكملين إلى واحد" **جمع وتوحيـد للمؤمـنين فـي المسيح ولكن ليس على أساس المساواة مع وحدته مع الآب!!**

وأمـا القس إبراهيم سعيد فيقول في هذا الصدد : "**هذه أسرار عميقة ليس لنا أن ندخـل إلى بواطنها ويكفينا أن نقف منها موقف المتحققين بها... ومما يجب ملاحظـته أن المسـيح لم يقل: "أنت فيهم وأنت فيّ" لأن حلول الآب في المسيح يختلف عن حلوله في المؤمنين – درجة ونوعاً.**

وأمـا تكميـل المؤمـنين في هذا الاتحاد فإنما هو تكميلهم في المسيح رأسهم ورئيسهم بتجمعهم واتحادهم معاً فيه!!

وأمـا **الأب مـتى المسكين** فيقول في شرحه لهذا الموضوع: "**أن هناك حدود لـلمقارنة بيـن الوحـدة الإلهية القائمة بين الآب والابن وبين الوحدة المطلوبة للكنيسة المتحدة في الواحد "المسيح"...**

فالكيان الذاتي للآب والابن وهو كياناً واحداً لهما في وحدة الجوهر مما يجعل أن الآب آب للابـن وحده، وأن الابن ابن للآب وحده... (ص١٠٧٤) ثم أنه يعود فيفـرق بيـن "**الوحدة التي في الله**" **وبين الوحدة المطلوب أن تكون لنا فيما بيننا بقوله:-**

"**وحـدة الله في ذاته" "أنا والآب واحد" "أنا في الآب والآب فيّ، كل ما هو لي فهـو لـك وكل ما هو لك فهو لي".. هذه الوحدة الإلهية الفائقة تقوم على أساس التساوي المطلق بين الآب والابن لاتحادهما في الذات الإلهية الواحدة!!**

حـتى أن كلمة "التساوي" هنا هي أضعف من أن تعبر عن الحقيقة، **لأن لفظة "التساوى" هي وليدة القياس وليس في الله قياس... والأصح أن نقول أنهما واحد فـي وحـدة مطلقة وبلا قياس ومنزهة عن مفهوم العدد. لذلك يستحيل أن يكون للوحدة في الله شبيه في الإنسان لأنه إذا استحال حتى القياس بين إنسان وإنسان، فكيـف يمكن أن نبلغ اتحاداً على مستوى الله؟ فالوحدة التي يطلبها لنا المسيح... إنمـا هـي من الوجهة الأدبية فقط أي من جهة الحب والحق والقداسة وإذ نكون**

مقدسين في الحق تستعلن لنا هذه الوحدة الكائنة في المسيح **فتدخلنا في الإحساس بالوجود الفعلي في حضرة الله وهكذا نصير واحداً بسبب الروح الواحد الذي يجمعنا وليس على مستوى التساوي الذي للآب والابن** (٨٠٧٨) من شرحه لإنجيل يوحنا.

وأما ما ذهب إليه القس أمين نصرت بتفسيره لهذا النص وإن كنا نتفق معه في إشارته للحركة الديناميكية التي تتجه نحو الواحد الذي هو المسيح وهي التعبير عن جذبه لمن هم له – ومن ثم فإننا قد ملئنا فيه من ناحية ومن الأخرى الله قد جعلنا مملوءين فيه كأعضاء جسده، **ولكننا نربأ بأنفسنا من زعم أمين نصرت بأن تكميلنا إلى واحد لن يكون إلا بكينونته فينا لأن ذلك تجاوز في القول أدى إلى ما يشبه التجسد والاتحاد الذاتي القائم عليه وكان من نتائجه أننا كما نعبد المسيح في ذاته فإننا بالتالي نعبده في بعضنا البعض مادامت كينونته أي كيانه الفعلي قد أصبح فينا وهذا ما يقوله حضرته وهو لسان حال الفرق المستحدثة في هذا الشأن مع أنه أمر لا يسنده نص صريح ولا يقبله الواقع** وكنا نود أن يتوقف حضرته عند الحدود القائمة تجاه هذه الأسرار الفائقة وأما زعمه الذي ذهب إليه فسنلتقي به ثانية في الفصل القادم...!!

الثالثة : وحدة تجمعية

هذه الوحدة نرى ذكرها وارد في العدد ٢٠ ونصه: "ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل **أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً" (ع ٢٠) ومن الملاحظ أن كلمة "واحداً فينا" لم ترد هنا لئلا يلتبس على قوم بأن تكون الكنيسة قد دخلت في الله دخولاً تاماً واندمجت فيه** – الأمر الذي إرتأته وتصورته الفرق المستحدثة حالياً وإنما جاء القول: "ليكون الجميع واحداً" **وهنا نكتشف بأن لجميع المؤمنين وحدة تجميعية مؤسسة على القول: "ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد"** (يو ١١:٥٢) وهي مبنية على إيمانهم المشترك لذلك فإنها ضرورة لابد منها – **وهذا يحتم أن تكون هذه الوحدة منظورة أو على الأقل مدركة** لأن مثل هذه الوحدة تختفي أمامها كافة الاختلافات حتى في أصغر الأمور لأن المحبة التي هي رباط الكمال أقوى من كل خلاف!

ولقد أحسن كيرلس الكبير مرة واحدة في كتابه "الكنيسة جسد المسيح" ص٩ بإعطاء معاني لجسد المسيح وهي : ١- جسده الشخصي ٢- جسده الأفخارستي ٣- جسده الجماعي الذي هو الكنيسة، مع أنه عاد فخلطهم معاً في وحدة مريبة أساءت إلى نفس التمييز الذي قدمناه آنفا!!

ومن المؤكد هنا أن طلبة المسيح هذه ليس لها مثيل لأننا نجد فيها الرؤيا الجميلة التي يقدمها المسيح لشعبه وبها يتميزون لكونهم خاصته مختاريه الذين منحهم الحياة الأبدية – وهذا هو مجد الفداء!!

لقد طلب لهم "التقديس" أي "الفرز الكامل لله" وذلك كأساس للخدمة وكان هدف التقديس كما طلب لهم هو **"الوحدة العميقة" بالروح وكذلك إدخالهم المجد باعتباره الغاية القصوى لإيمانهم!!**

وعلى هذه الأسس المباركة تتم وحدتهم:

وهي قد بدأت بالرسل أنفسهم تمت فيهم بالروح القدس كثمرة الفداء من بعد قيامته وصعوده إلى السماء وإرساله الروح المعزى – **وهذا هو أساس المسيحية، إذ أن الوحدة العملية ما كانت لتتحقق بدون ذلك، وهم واضعوا الأساس بعملهم وكتاباتهم التي تمت في جيل واحد ...**

وكانت حالتهم قد تغيرت بالوحدة التي تمت فيهم.. وهي ترينا عظمة البركة التي صنعها الآب بروحه استجابة لصلاة الابن، كما كانت لهم **شركة الشهادة** بالوحدة الكائنة فعلاً التي بدأت بهم، كما سادتهم **"وحدة الفكر"** التي أكدت لهم وحدتهم في المجد، كما أظهرت فيهم **"وحدة العمل"** بما ظهر في أسفار العهد الجديد التي كتبوها بالروح القدس...

وفي قوله "كما نحن" نرى وحدة الآب والابن في العمل الأمر الذي أراد للمؤمنين أن يصلوا إليه في نفس المجال "وحدة العمل" ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني!!

ومن أجل ذلك فإن رأس الكنيسة يريد لها "الوحدة" وهو لذلك غير راضي البتة عن هذا التفرق الذي أفقدها التمتع بيوم الخمسين وبركاته – وخاصة أنها

بـــدون هـــذه الوحدة لا يمكن أن تحتفظ بقوتها وبالتالي فإنها لن تتمكن من إتمام إرســـاليتها فـــي العالم – وأخيراً لأن أسباب الفرقة نفسها تافهه مثل ضيق الأفق والتمسك بالقشور والتعصب...!!

ولا شك أن غياب رؤية هذه الوحدة من أسباب هذا الخلط بين المفاهيم، كما أن وجـــود بعـــض النصوص التي تبدو لأول وهلة عسرة الفهم وقد فهمها الهراطقة بطريقـــتهم الخاصـــة لكـــن بقليل من الفحص والروية يتضح المعني الحقيقي لها ويمكـــن الوصـــول بذلك فعلاً إلى تفسيرها الصحيح!! وهذا هو موقفنا الآن تجاه الوضع الراهن!!

فضـــلاً عـــن كـــون هذه الوحدة الجامعة للمؤمنين في مضمونها الفعلي تحتم الانفصال عما هو للعالم وهذا لا يتم إلا بالانجذاب المشترك نحو الآب لكي نشترك فـــي قداسته حتى تستمد الكنيسة حياتها من مصدر خارج العالم، بقربها من الآب والابن!!

فالشر محيط بالكنيسة والجذب العالمي عنيف والإغراء مدفوع بقوة شيطانية – ولذلـــك فـــأن تقديس حياتنا وأفكارنا وعيوننا وقلوبنا وضمائرنا هو القوة الغالبة والحصـــن المـــنيع، لذلـــك كان ضمن شفاعته هنا قوله: "قدسهم في حقك" حتى يتحولوا عن المستوى الجسداني الفاني إلى الروحاني الباقي!!

إلا أن هذا لا يتم بلوغه بدون الاتحاد بالله في هذه الحياة وذلك بالتحول التقدمي المستمر في الحياة الروحية لكي نعيش حسب مشيئة الله... ولكـــي نبلغ إلى الدرجة القصـــوى في ذلك، فإن علينا جميعاً أن نسد الهوة التي تفصل بين أعلى ادراكاتنا وأتـــبل مســـاعينا وبيـــن الجعالة العليا التي بها نكون واحداً – وهذا هو المفهوم الصحيح للإيمان!!

وهـــذا يســـتلزم جهاداً، لأن إمكانيات الإنسان الروحية لا تنمو إلا بالجهاد... وهـــذا يحتاج إلى زمن إلى حين الوصول إلى الأبدية (حالة اللا زمن) حينئذ تجمع الكنيسة في جمعها النهائي ويفقد الزمن سلطانه علينا!!

الرابعة : وحدة التنسابية

"كما أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد" (العددين٢٢،٢١).

هـذه الوحدة – أخيراً – هي للمؤمنين معاً وهي في الآب والابن بحسب قوله "فيـنا" **هـذه هـي الوحدة الانتسابية القائمة على الشركة في الطبيعة الإلهية في المعـنى الأدبي لا الجوهري** – لأنه من جهة الوحدة الجوهرية قد وجدنا الابن من جنس واحد مع الآب ولذلك دعى "شريف الجنس" (لو١٩:١٢) لأنه واحد مع الآب والـروح القدس – وهذه هي الوحدانية المقنمة (أي الجامعة للأقانيم) **وهي مرتقى لاهـوت المسـيحية** وهـي التي تحتاج إلى البحث في أصول الكلمات والنبش في المخطوطات القديمة والدراية بشيء من الفلسفة – الأمر الذي يرفضه الهراطقة مع أنه ليس كل ما تقوله الفلسفة باطل **فقد أشارت إلى "الثالوث" كما تحدثت عن الكلمة** Logos بكلمات بسيطة قريبة من لغة الوحي.

أمـا الوحـدة الـتي نحن بصددها فإنها "وحدة الانتساب" أي أنها وحدة حياة وارتـباط وشركة وهي كاملة ومجيدة وقد وصفناها بأنها "قائمة في المسيح أمام الله بالروح القدس" وهي مع بعضنا بعض كنتيجة لاتحادنا مع الله في المسيح!!

وهـذه الوحدة إنما تنشأ في المؤمنين بثبوتهم في اسم الآب كما سبق البيان. صـحيح أن هـناك محاولات بشرية للاتحاد – كما في بابل – لكنها ظواهر كاذبة تنـتهي بمزيد من الفرقة والعداوة والانقسام، وهي إلى الانحدار والاستغراق في الفردية... وقد تبدو ناجحة شكلا لكنها خطيرة عند مقارنتها بالوحدة الكتابية.

أما هذه الوحدة الحقيقية فتقوم على تقديس اسم الآب واستعلان الحق الإلهي في الكـلمة والصلاة وبقوة الروح القدس وحينئذ تظهر بالفعل الكنيسة الواحدة الوحيدة مغطاة بالمجد دون أن تشارك المسيح في إلوهيته!!

وهـا نحـن قد بسطنا في نهاية هذا الفصل المعاني الصحيحة للوحدة التي هي محـور صلاة المسيح الشفاعية بانواعها في تبسيط واضح وشامل لعل هذه الفرق المستحدثة وقادتها يستفيقون من الغفلة التي هم فيها ويخضعون أنفسهم للحق الكتابي لأن ذلك أجدر بهم وأنفع لهم!!!

تحديد وضع الكنيسة بالنسبة للمسيح

"تخضع الكنيسة للمسيح... لأننا أعضـاء جسمه من لحمه ومن عظامه" (أف٥:٢٩،٢٥)

١- الكنيسة جسد المسيح :

أيـاً يكـون جـلال المجْد الذي أسبغ على الكنيسة لكونها وصفت بأنها "جسد المسـيح" **إلا أن علينا أن نحترس جداً من النظر في ذلك لدرجة نذهب فيها بعيداً عـن الواقعية** – فأننا نعلم أن تمام تقديسها لم تصل إليه بعد ولو أنه مطلوب منها لأن فيهـا ملكوت الله الروحي قد بدأ في التحقيق وسيصل إلى نهايته عند استعلان هذا الملكوت!!

وفضـلاً عن ذلك فإن هناك ما يطلق عليه اسم "كنيسة" ويوصفوها بذلك بأنها "الجسـد" ولكنـنا بحاجة إلى أن نقف إزاء هذا الوصف لتحليله، **لأنه يعني – حتى بالنسبة للكنيسة الحقيقية – بأنها ليست روحاً محض، وقد حدثنا بولس في رسالة رومية٧ عن وجود صراع بين الجسد والروح** – والمسيح لا يمكن أن يسكن فيها وهي في حالة طبيعية كهذه قد تعرضها لإدانة قاسية كما حدث في الرسالة الموجهة لكنيسة ثياتيرا وكذلك رسالة المسيح إلى كنيسة اللاذوكيين في سفر الرؤيا...

وأنهـا لتجربة مهلكة الاختباء وراء الكنيسة كتأمين ضد الإدانة وذلك بإبداء الولاء لمنظمة ما تحت اسم "الكنيسة"بدلاً من تحقيق علاقة مباشرة مع الله – وهذا هـو الخطر الذي نجده في الكنيستين الكبيرتين: "الكاثوليكية والأرثوذكسية" كما أن هـناك الكثيرين ممن يتماثلون بنفس **الحالة في قلب البروتستانتية نفسها – وهذا تكـرار لما حذر منه المعمدان اليهود من قبل بأن لا يتكلوا على أبوة إبراهيم لهم** لأن "الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم" (لو٣:٨)، **ونفس الشيء يمكن أن يوجه لأعضاء في كنائس مسيحية اليوم الأمر الذي يدعو للأسف الشديد** إذ أن ذلك مصيدة هلاك لهم!!

ولكننا بالتحول إلى "الكنيسة الحقيقية" التي هي جسده نجد من ناحية أن كل شئ يخضع للمسيح **لأجل "الكنيسة" ولكننا من الجهة الأخرى قد وجدنا أن الكنيسة نفسها مطالبة بالخضوع للمسيح** ولا يفوتنا هنا أن هذا القول عن الكنيسة بأنها "جسد المسيح" **إنما هو قول مجازي لا حرفي يراد به تشبيه الكنيسة كجسده لاتحادها به فهي جسد نسبي روحاني لا يتعارض مع جسده الطبيعي أي الناسوت الذي اتحد به لاهوته بدون افتراق قط بل هو قائم دائم منذ هذا الاتحاد في اقنومه الواحد وذلك إلى الأبد وإلا ضاع منا يسوع المسيح الوسيط الاوحد!!**

والإيمان يتمسك إذاً بأمر الخضوع للمسيح كحقيقة واقعة في الاختبار الشخصي ولذلك فإن **رئاسة المسيح على جسده "الكنيسة"** يقدمها الرسول بعبارة قوية قاطعة بقوله: **"كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة"** (أف٥:٢٣) **أي رئيسها وسيدها...**

ومن ثم فأن للمسيح سلطان على الكنيسة كالرأس الذي يسيطر على كافة حركات الجسد ونشاطه – **وفي نفس الوقت نراه رأس كل شئ...** أي أن كل الكائنات خاضعة له... فهو حاكم الكون المنتصر لأنه كيف يكون ملكاً بدون مملكوت!؟ ورغم ان الكنيسة ستملك معه إلا انه قيل عنها تخضع للمسيح فى كل شىء (اف٥)

فإذا كان المسيح رأس كل شئ مما يدخل فيه "الكنيسة" نفسها، فأن قبولنا لتعلية شأن الكنيسة حسبما يتراءء لمعظم الفرق المستحدثة أمر لا يمكن للكنيسة الحقيقية أن تقبله لأننا هنا نواجه بتحفظات على رأسها خطر اعتبار أن الكنيسة قد وصلت إلى تمام رفعته وأصبح من حقها أن تتساوى معه!!

ولذلك فأنه عندما يعرض أي شخص – في نطاق الكنيسة **بأنه ممثل شخصي أي نائب للمسيح فأن هذا ادعاء باطل لأنه لن يكون كتابياً فليس في كلمة الله ما يسمح للخدام أن يترأسوا على القديسين – ومن الأسف أن هذه الظاهرة بعينها هي ما ذهبت إليه الفرق المستحدثة وتمارسه حالياً** – فها هو القس أمين نصرت في نبذته الأخيرة: "الأمور المتيقنة عندنا" يقول في نهايتها بالحرف الواحد:

"أفليس حرى بنا أن نقدم سجود المحبة والولاء لرجل الله الذي أقامه الرب لنا حـاملاً لرؤية في وسطنا" وهو هنا يطالب لنفسه من مجموعته سجود الخضوع.. الـذي يمارسـونه تجاهـه بدون أدني مناقشة، وهكذا يطلب منهم أن يقدموا له السجود ولو أنه يربطه بالمحبة والولاء!!

وهـو يفعل ذلك ويقبله حتى لو وصل السجود إلى قدمه – مع ما في ذلك من مخالفـة خطيـرة لمبدأ "خضوع الكنيسة للمسيح وحده" هذا الذي لا يمكن مقارنة أحـد به حتى بعد تنازله وتفضله علينا بمنحنا نسبة من الاتصال به، إلا أنه يبقي كمـا هـو الفريد في عالم الله من جميع الوجوه، لأنه حتى في حال تجسده، فإن المسـافة التي بيننا وبينه لا يمكن عبورها بأي حال من الأحوال، لأنه بالرغم من إتيانه متأنساً لفدائنا لكن عظمته باقية لـه كما هي لم يؤثر عليها ذلك التجسد ولا قيامه بصنع الفداء!! وانما هى اتجاهات الليبراليين التى تطعن فى عظمته الآن!!

وجدير بنا هنا أن نُذكّر ق. امين نصرت هو وأمثاله بأنه لم يحدث في أي وقت في التاريخ المسيحي أن اتخذ المسيحيون أسماء أساقفتهم ليكونوا تابعين لهم ولا دعـوا باسـم الرسـل بل اتخذوا اسم "الرب" وحده الذي به نؤمن فتسموا باسم "المسـيح" ولذلك نتسمي نحن – المؤمنون بحق – بالمسيحيين وهذا لقبنا – أما أولئك الذين ينتمون إلى آخرين يأخذون منهم العقيدة التي يعترفون بها، فإنهم من الطـبيعي بالنسـبة لهـم أن يحملوا أسماء قادتهم أيضاً – لأنهم قد صاروا ملكاً لهـؤلاء المعـلمين، لأنهم نقلوا وأعطوا لأتباعهم أسماءهم الخاصة وهذا يخالف الوضـع المـألوف الـذي به يُدعى جميعنا مسيحيين وهذا انتمائنا – ولكن كيف يوصـفون بمسيحيين من هم مجانين في هرطقتهم وقد انفصلوا بها عن "الإيمان الرسـولى المسلم للقديسين"!! وقد اعترف أمين نصرت بأن الروح القدس قد أقام الأسـاقفة فـي الكنيسة وليس عليها في وسط الرعية وليس فوقها... لكن ما أكثر المـرات الـتي يقيـم فيها الروح واحد منا ويعطيه مكانة مباركة... لكن للأسف سرعان ما يتصور أنه فوق إخوته وفوق الجماعة (ص٤٩)!!

٢- الكنيسة وهل هي امتداد لتجسده :

ولا شك أننا نواجه هنا أخطر إدعاء بأن الكنيسة هي امتداد للتجسد - وعند البحث الدقيق قد وجدنا أن أول من قال بذلك الكنيسة الكاثوليكية فقد وصفت نفسها أنها "امتداد التجسد" وبنت على ذلك عصمة البابا ونسبت ذلك إلى كل قراراته تدعيماً لنظامها الذي قامت عليه.

ولكن هنا الادعاء لم يكف عند حدها بل تجاوزها إلى الأرثوذكسية ممثلة في كيرلس الكبير فقد ردد نفس التعبير في كتابه "الكنيسة جسد المسيح" ص١٠ بقوله: "ولم يكن قط من محض المصادفة أن تتبع هذه الفقرة عن "الكنيسة المقدسة الجامعة الفقرة عن الروح القدس.

ففي فكر القديس كيرلس عن التعليم التقليدي الذي كان سائداً في ذلك العصر، تظهر الكنيسة بوصفها اتحاد البشرية بالله باعتبارها امتداداً للتجسد... الخ

ولقد جاء في أعقابهما القس أمين نصرت ليقول في نبذته "الأمور المتيقنة عندنا" ص٥: "ليس هذا فقط بل أننا نؤمن بأن الكنيسة الحقيقية... التي هي جسده ... هي امتداد تجسده... أو استمرار تجسده... وإعلان تجسده...!"

ويا له من قول جرئ بل فكرة جسورة ويجب التعامل معها بكل حذر لأن التجسد الإلهي كان معصوماً، وأما "الكنيسة" التي يقال لها بأنها امتداده فإنها غير معصومة!! فمن أين اذاً يأتي الاتفاق بين الحالتين "التجسد" و"الامتداد المزعوم".

وفضلاً عن ذلك فأن الروح القدس لم يتحد بالمؤمنين اتحاداً ذاتياً على منوال التجسد - حتى تكون الكنيسة بذلك - امتداداً لهذا التجسد- لأنه لم يأخذ جسدنا ويجعله واحدا مع لاهوته لأن هذا هو التجسد بعينه الذي يوصف "بالاتحاد الذاتي" - كما سبق أن شرحنا معناه - وهو غير حلول الروح القدس فينا، فإن اللاهوت قد حل في المسيح حلولاً ذاتياً جوهرياً، وحلوله هذا لا يعتبر موهبة كما توصف حالة أخذنا نحن!!

وبالإضافة لما تقدم ذكره فإن هذا التجسد الذي للرب يسوع نفسه هو بعينه

صاحب الوجود المطلق فلما حل لاهوته في إنسانيته لم يحده ذلك الحلول ويقيده، وقد ظهر ذلك فيه بصفة خاصة في ظاهرة الظهور والاختفاء التي انفرد بها حال وجوده بين الناس مما يكشف عن عدم محدوديته وأنه كذلك من كل وجه...!!

ولذلـــك فإنـــه في تجسده لم يملأ ذلك الجسد المنزه الذي حلّ فيه فقط، بل كان مالـــئاً بـــالفعل كل مكان آخر غيره حتى لا يفترض أحد أنه افرغ نفسه من مكان وانحصـــر في ذلك الجسد، ولا عجب من وصفه بالإله الحكيم وحده (أي الوحيد) لكونـــه وحـــده "ابن الله الوحيد" ومن ثم فلا وجه لقياس أي المخلوقات عليه ولا واحد منها يقارن به لا على سبيل الفردية ولا الجماعية – فكيف يقول الذين سلف ذكرهم بأن الكنيسة هي امتداد لتجسده...!! الأمر الذى بالطبع يحد وجوده ويفسد سر تجسده!

ولقد سبق أن رددنا على استناد القس أمين نصرت على الآية الواردة في ٢ يو٧ بتفسيره عبارة "آتياً في الجسد" بأنها تعني استمرار إتيانه في الكنيسة جسده وأن معـــنى ذلك أنها امتداد لتجسده وهو يتمم بذلك الخلط بين المؤمنين – أعضاء الجســـد– وبين رأسهم المجيد – المسيح – وكأنهما قد صارا كيان واحد بلا تمييز للجسد الحقيقي الذي يفصل بينهما الأمر الذي يشجبه ما سبق أن ذكرناه – ونضيف إليه ما وصف به "أكيرت" الوجود المطلق الذي يشمل وصفه للاقانيم بأنه "وجود واحـــد و مطـــلق" ويقول هيجل: "أن طابع الوجود المطلق الاستقلال أي أنه كائن بذاتـــه ســـواء كـــان ذلك بالنسبة إلينا أو لم يكن إذ أن ارتباطه بغيره في جوهر وجوده الفريد لا هو ضروري وهو غير وارد". وقد جاء في الفلسفة الإسلامية في هذا الصدد القول: "كان الله سبحانه وليس معه شيء، وهو على ما كان عليه كائن"!!

وإزاء هذا الوجود المطلق الذي يتصف به ربنا يسوع المسيح من قبل التجسد كما من بعده يقف العقل عند حده دون أن يصل إليه كما أنه ليس بمقدور الإدراك أن يخـــترق حجبه، ومن ثم فلقد كان من الأجدر أن يمتنع القس أمين نصرت عن الارتـــاء بل يرتقي إلى التعقل دون الاسترسال في تفاسير وألفاظ يقوم باستنباطها

بطريقـــته الخاصـــة مشـــابها في ذلك من سبقه ممن لم يحسنوا الكتابة في هذه الموضـــوعات الخطيـــرة فأهـــانوا بذلـــك السيد الوحيد بعباراتهم الغريبة دون أن يســـتندوا فيها إلى نص واضح من كلمة الله وهكذا قلبوا المعاني ورفعوا من يقبل آراءهم إلى درجة قد وصلت إلى التساوي مع المسيح فحجبوا مجده بذلك ووقعوا في حق الله!!

٣- وصف الكنيسة بأنها ملء الذي يملأ الكل في الكل :

في هذه العبارة الماثلة أمامنا قد وجدنا النقطة المركزية التي يستند عليها الذين ارتأوا فرفعوا منزلة "الكنيسة" إلى منزلة "المسيح" أليست ملئه مع أنه يملأ الكل!؟

فيـــتقدم هنا القس أمين نصرت في شرح هذه الآية الواردة في أفسس١:١٣ فيقـــول: "فإن كان المسيح هو الذي يملأ الكل في الكل فالوحي يعلن بأن الكنيسة هي ملء الذي يملأ الكل في الكل أي أن الكنيسة هي ملء المسيح!!؟؟ وهو يضع كلمة "ملئه" في اليونانية والإنجليزية في إطار فخم ويترجم معناها بأنها ملء وتمام المســـيح وهـــو يستطرد إلى القول ألا يعني هذا أن لها كل ما للمسيح – فيما عدا العبادة طبعا وهذا استدراك منه بنفيه ما ذهبوا اليه مما يخالفه – مع أن هذا التحفظ قد رفعه بإمكانية السجود بعضنا لبعض لكون المسيح فينا وبالأولي لقادتنا بحسب قولـــه.. ثـــم يقرر بأن هذا ما تمليه علينا لغة الكتاب هذا إذا قبلنا النص كما هـــو (أفســـس٢:١٣) (الصـــفحتين ٥،٤ من نبذته الوداعية الأمور المتيقنة عندنا) ونظراً لتخصصه في فهم كلمة الله وشرحها لذلك وجدناه يكتب عبارات مستحدثة مثل أن الآب كـــان خاضعاً في الابن والابن كان آمراً في الآب وكذلك تدفق الابن من الآب تدفـــق أزلـــي وأيضاً امتلائنا بالله وببعضنا البعض وهلم جرا من أقوال مستحدثة فيها العجب العجاب!!

وقـــد أدت به هذه الأقوال إلى القول: "بأن هدف التلمذة... وهدف المعمودية (المائية) هو الاصطباغ بالله المتعدد الأقانيم..

ثم يعود فيقول: "وعلى هذا يكون الاصطباغ باسم الثالوث بمعني أن نبدأ رحلة

الوحـدة التي على مثال وحدة الآب والابن والروح القدس" (صفحتي ٦٥،٦٦ من كتابه أنا والآب واحد).

وتناسـي قـول المسـيح نفسـه أبـي أعظم منى ومع أن من معاني كلمة "المعموديـة" الإصطباغ لكن من قال أننا بذلك نصطبغ بالثالوث وماذا يكون معناه لاشـك أن الجـواب عند حضرته ولكنه يحسمه للمرة الثالثة بقوله أن المعمودية اصـطباغ مـتجه يتحرك نحو الوحدة التي بين الآب والابن والروح القدس وهذا تجاوز في القول وافتراء على الحقيقة!!

فـإذا عدنـا لأقوال كيرلس في كتابه: "الكنيسة جسد المسيح" نجده يقول في صـفحة٦ "أنه قد صار إذاً من الممكن من بعد الآن بواسطة التجسد والكنيسة أن تـتحقق الوحدة بين البشرية واللاهوت بل أنه يستطرد في ص٣٩ و ٤٠ إلى القول "وأمـا الـروح القـدس فهو الذي بحضرته الفعالة النشيطة والمغيّرة يشرف ويقود عمـلية الإحيـاء هذه لكي نحيا حياة جديدة سماوية إلهية غير مائته ويُدخلنا إلى شركة الطبيعة الإلهية"!

وأخيـراً نجـده يقول في صفحتي ٥٠و٥١: "بأن الروح القدس يعطينا ذاته ليشركنا فيه بالطبيعة الإلهية... وذلك اعتماداً على ما تم مسبقاً من جهة الطبيعة الإلهية التي تجسدت من أجل ذلك وبدافع المحبة – لأنه إن كان قد اصبح ممكناً أن الإنسـان يصير شريكاً في الطبيعة الإلهية، فما ذلك إلا لأن الله صار إنساناً فصار شريكاً في طبيعتنا في كل شئ!

وهـذا الشـطط كله إنما هو صدى للآية التي نحن بصددها والتي بدأنا بتعليق القـس أمين نصرت على معناها فترى هل من جواب يرد على هذه المتاهات التي يـبذل أصـحابها كل ما في وسعهم ليصورونها للناس كأنها حقائق لاهوتية سليمة وثابتة!! مع انه قد ثبت عند البحث بانها متاهات لضلالات تمس تنزيه الله!!

وبعـد السـرد السـابق نعود إلى النص المعروض علينا هنا فنقول: "أنه من الصـعب العسـير علينا أن ندرك في أي مفهوم ينطبق هذا القول على "الكنيسة"

وكيف تكون ملئه وهو الذي تسرى منه الحياة لكل من يقبلها ويصبح بذلك ضمن الكنيسة – وذلك لأن المسيح هو ملء اللاهوت جسدياً وهو بالتالي الذي يملأ الكل في الكل!!

ووجـــه العجـــب في هذا الأمر هو أن يسوع المسيح (الكامل في ذاته) أصبحنا نحن كمالته من جهة بر لوجودنا في جسده (الكنيسة) أي أنه قد قبل على نفسه وهو "الكامل" أن يكون له جسد هو رأسه وبدونه حسب ظاهر القول يعتبر ناقصاً... **فهو الرأس والكنيسة ملؤه مع أنه في نفس الوقت يملأ الكل في الكل** – وهكذا فإن هذا الكامل بكمال مطلق إذ أنه يملأ الكل في الكل نجد الكنيسة تملؤه – **وهذا أمر يفوق أدراك العقـــول** وقد أستطرد بعضهم من هذا القول نتيجة ارتآها وهي: "أنه كما أن المســـيح هـــو التعبير الكامل عن الله هكذا تصبح الكنيسة التعبير الكامل عنه وذلك لاعتـــبارهم أن هذا النص إنما يعني أن الكنيسة تملأ المسيح وبالتالي يكمل المسيح بالكنيسة.. لأن كلمة "ملء" قد تعني ما يملأ وليس ما تمتلئ...

مـــع أن القصـــد من هذه العبارة هو مجرد بيان عن اتحاد الكنيسة بالمسيح اتحـــاداً حياً لكونه رأسها فهي ملئه مع أنه في نفس الوقت هو بنفسه الذي يملأ الكـــل في الكل بمقتضي لاهوته وبحسب مقامه بالنسبة للكون والكنيسة على حد سواء!!

أنـــه رأس كل خليقة بما في ذلك الخليقة الجديدة "الكنيسة" – وهذا يعني أن كل شئ كان خاضعاً له من قبل وهو "لا يزال" خاضعاً له كذلك من بعد تجسده وتأنسه إذ نال بصعوده إلى يمين الله سلطان هذا الإخضاع **والكنيسة هنا ترتبط به كجسده بـــرباط روحـــاني الكيـــان دون أن يؤثر ذلك على خضوعها لـــه باعتباره رأسها الأوحد!! وهذه هى الحقيقة عندما تتوازن فى ميزان الحق!!**

كـــل هـــذا الـــذي أوضـــحناه آنفاً يختلف اختلافاً أساسياً مع ما ارتأته الفرق المســـتحدثة بأن اصطلاح "الكنيسة" بأنها جسده إنما هو للتعبير عن مدى الالتحام الجوهري الذي صنعه هو مع الكنيسة وهو على مثال ما فعله تماماً في تجسده الذي

فيـــه أخذ جسداً واتحد به وعلى منواله **نجد هنا أن المسيح قد استطن لنا في "سر الكنيســة" قائماً في سر تجسده" فالتجسد بداية الاستعلان والكنيسة نهايته** – ولا شك أن مثل هذا القول وهو الذي دفعهم إلى الاسترسال واعتبار الكنيسة هي امتداد لتجســده إنمــا هــو بعيد تماماً عن الصواب وهو داخل في نطاق هذا البحث عند مواجهتنا له في موضعه الخاص.

صـــحيح أن هذه الفقرة هي وصف لكنيسته بإجماع معظم المفسرين وقد حاول لايتفوت أن يظهر لنا بأن الكلمة "ملء" تعني حسب الأصل اليوناني... حالة الملء الــتي يكون عليها الشيء" **ومن المعلوم أن هذا الملء بالنسبة للمسيح هو الملء الكامل الذي يحل سرمدياً في الابن المتجسد وإذاً فارتباط كنيسته به من هذا الوجه إنما يكون في شكل اتحاد روحي فقط وذلك في حدود معينة**، لأن يسوع المسيح هو الــذي يملأ بنفسه كل ما في الوجود، والوحي يتحدث عنه بأن فيه قد حل كل ملء اللاهوت.... ولذلك فإن القول الوارد في كو٢: ١٠ "وأنتم مملئون فيه" نتبين منه أن قصــد الله للمؤمــنين أن يمتلــئوا إلى كل ملء الله – وفي فاتحة إنجيل يوحنا نجد القــول: "ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا – **وهذا الذي نأخذه منه إنما هو ملء صفات وهبات الله وهي التي تكملنا حتى نصل إلى قياس قامة ملء المسيح...**

ومــن ثم فإنه أن كانت الكنيسة تملأ المسيح (أي تكمله) فإن المسيح بدوره كأســاس ذلك هو الذي يكملها بملئه (وهذا ما يقوله روبنسون) أما كلفن فيقول: "أن ابــن الله يحسب نفسه كأنه غير كامل بشكل ما حتى يتحد بنا" – فقد أعد لنا مكاناً فيه وكأنه أفرغه لنا لنملأه دون أن نعرف كيفية ذلك على الإطلاق! ويبدو أن هــذا الرأي قد يعطي معنىً أفضل لكلمة "ملء" والتي تعني بعد البحث الدقيق: "ما يملأ وليس ما يمتلئ" (أف٤: ١٠) ولذلك فإنه بعد البحث الدقيق قال الأسقف موول: **"بأنــه لا يوجد في كل العهد الجديد بجلاء ووضوح القول بأن المسيح يجد كماله وتمامــه في الكنيسة**، فإن الفكر الطبيعي الأكثر ملاءمة هو العكس تماماً فالمسيح يمــلأ كل شئ وهذا ما يلائم النص هنا فتسلسل الفكر هنا يبين أن المسيح هو رأس

كل الأشياء لأجل الكنيسة أي كل ما في الوجود ولأنه رأس الكنيسة أيضاً فمن ثم أنهـا تكـون ضمن الأشياء التي هو رأسها والبعض يرى في عبارة – التي هي جسـده جملة اعتراضيه – فيكون المسيح نفسه هو ملء الله الذي دخلت الكنيسة إليـه ليـس دخولاً جوهرياً وكأنها أصبحت في حالة اندماجية فيه بل عن طريق الاتحـاد السـري معه بالروح القدس باعتبارها جسده المنتسب إليه وهو رأسها وفي هذا الإطار فقط ليس إلا يكون اتحادها به!!

ولهـذا الحق تأثير عملي على كل مؤمن بمفرده لكنه يوضح ما هي الكنيسة بالنسبة للمسيح على أساس الوحدة السرية التي أشرنا إليها...

ولكن ذلك لن ينفي أن للكنيسة علاقة بالمسيح وهي تملأه لكونه من الواجب المفـروض ضـم الـرأس إلى الجسد... على أن الربط هنا لا يمكن أن يصل إلى وحـدة جوهـرية بيـنهما بل هو الوصول إلى قياس قامة ملء المسيح – ببلوغ الكمـال عن طريق القيامة – وهو أمر مستقبلى لن يتفق مع ما ذهبت إليه الفرق الحديثة بما إرتأته من وصول إلى ما فى كلمته التامة والمطلقة من معانى أسمى مما ذهبوا اليه... بغير هذا التحديد الذى اختاروه!!

وعـلى ذلـك فإن عبارة: "أن الكنيسة هي ملء المسيح" لما لا يمكن لمداركنا الضـيقة أن تـدرك معناه أو الإحاطة به. أما للتمسك بالمسيح كالرأس فهو إعلان الإيمان الصحيح كإقرار للوحدة السرية بين المسيح وكنيسته والتي يحققها الإيمان وهـي مصـدر فـرح للمؤمـنين لأن حالة التمسك هذه إنما هي أكثر من القبول الفردي!!

والمسـيح هنا من كل الوجوه هو ملؤنا كرب الحياة والنعمة وهو يملكنا الآن باعتباره "ملك القديسين" وغدا سيكون "ملك الشعوب" كلها فإن كانت الكنيسة ملؤه فإنما على اعتبار أن الجسد متمم للرأس ليس إلا!!

والعبرة هنا إنما هي في روحانية هذا الجسد وهي التي يتغير بها حال الكنيسة من مجرد منظمة أو مؤسسة بشرية فتتحول إلى كيان حي يملأه الروح القدس لكونه

"روح الحيـــاة" ويتحده بالرأس الحي في السماء الذي يقوم بضبطه وتوجيهه بروحه القـــدوس! ذلك بدون الحاجة إلى تقاليد البشر وأيضاً بعيداً عن أي رئاسة بشرية أو تـــنظيمات ذاتيـــة مما يجعل رئاسة المسيح صورية وكأن لا وجود لها في حين أن كنيسته الحقيقية تشهد لكفايته على مر القرون وإلى النهاية!!

وذلك لأنه الذي يملأ الكل لنفسه كما أنه يملأ كل أعضاء جسده السري من ملئه – **فكيف يقال في أي معنى إذاً أن الكنيسة تملأه في مفهوم مطلق لا يقف عند حد فـــأن هـــذا القـــول يصبح بذلك قول لا يمكن قبوله – وأما حده فهو في تشبيهه بالـــرأس وتشـــبيه كنيسته "بالجسد" المنتسب إليه، فليس تكميلاً ذاتياً لشخصه!!! وهـــي مـــن هذا الوجه فقط "ملؤه" لكونها جسده المنظور على الأرض ولا مجال لتوسيع نطاق التفسير إلى ما هو أبعد من ذلك!!! لأن الأرجح هنا أن نفهم تلقائياً بأن المسيح هو الذي يكمل الكنيسة لا العكس لأنها هي التي تحتاج لأن تمتلئ به حتى تستطيع أن تتمم عمله المبارك المجيد!!**

فإن الأصل في ملئها له إنما هو امتلاءها به... بمعنى أنه وأن كانت الكنيسة قد وُجدت لتعبر عن ملء المسيح في العالم إلا أن المسيح فيها هو الذي يملأ الكل في الكل لأنه هو رأس الكنيسة – وفي نفس الوقت لا يزال رأس كل شئ!!

والمسيح هو ملء الكنيسة طالما هي فيه وهو فيها لأنه هو الذي يمدها بملئه – ومن ثم فإنها لا تحده بملئها لـــه وإنما هو يملأها بروحه الذي لا يُحد ويملأها بوجوده دون أن تحد ذلك الوجود أو تسعه ولذلك فإنها لن تصير بذلك "إلها" وإنما هـــو يحييها معه ويقدسها له دون أن تتغير عن بشريتها دون أن تتأله معه لأنها ليســـت فـــي وضع يتشابه مع وضع الأقانيم بالنسبة لأحدها الآخر، إذ أنه لا يسع الأقنوم سوى الأقنوم نظيره وهيهات أن تكون الكنيسة كذلك!!

وإن كان لأول وهلة يبدو أن القول بأن الكنيسة هي ملء المسيح يتعارض مع طـــبيعة المســـيح الإلهيـــة فإننا بما أوضحناه نقرر يقيناً أن ابن الله لا يحتاج في وجـــوده أن يعـــتمد على الكنيسة كاعتماد الكنيسة عليه... ولكن النص لا يتعامل

معـــه فـــي وجوده المطلق من جهة طبيعته الإلهية بل في وجوده الوظيفي كرأس الكنيســة فقــط وبحسب تعبير ذهبي الفم القائل: "كما أن ملء الرأس هو الجسد، كذلــك مــلء الجسـد هــو الرأس"... لأنه من هذا الوجه يحتاج إلى شعب يرعاه ويحكمـــه حتى يحقق لـــه أن يكون بحق "المسيا" الملك الإلهي للمسكونة كلها الأمر الذي يتم عند جمع ما في السموات وما على الأرض في شخصه وذلك عند رجوعه واستعلان ملكوته في المجيء الثاني المبارك!!

فالكنيســة إذاً التي هي ملئه إنما هي كذلك لكون الله قد ظهر فيه تماماً فإن ذلك **يعني تلقائياً أنه وإن كانت الكنيسة ملئه إلا أنه يملأ كنيسته أيضاً لكونه يملأ الكل في الكل!!**

فــلقد صعد فوق جميع السموات بقصد أن يملأ الكل والكنيسة بالدرجة الأولى – فصـــعوده كمـــا يتضـــح من ذلك إنما هو ليملك الكل وليملأه وذلك لكي يمتلك الكنيسة ويملأها بالتالي بكل ملئه فتصير هي ملئه... فإن قيامته قد حققت لاهوته وأهلته في الحال ليكون رأس الكنيسة ثم عادت الكنيسة وشهدت لقيامته ولاهوته فحققت بالفعل ملؤه الذي امتلأ بكل ملء اللاهوت فصح أن تكون الكنيسة ملؤه أي الــتي تعبير بالفعل وتشهد بالحق أنه حائز على كل ملء اللاهوت جسدياً...فهنا تحققت الكنيسة لاهوتية ملء المسيح وأصبحت الشاهدة لـــه بذلك فاصبحت ملئه بشـــهادتها هـــذه في نطاق اتحادها السرى به – وهذا الذي قدمناه يكفي جداً لمن يـــريد الاقتناع بقلب سليم وفكر راجح وهذا ما تحتاج الفرق المستحدثة إليه حتى يستقيم إيمانها! وذلك اذا سادت للتزلق الصواب وادراك الحق في ذاته لوجه الله!!

٤– القران الروحي في الالتصاق بالرب ومعناه :

جاءت كلمة "الالتصاق" في مواضع عدة من كلمة الله أبرزها ما جاء في (تثنية ٤:٤) "وأمـــا أنتم الملتصقون بالرب جميعكم أحياء اليوم" ما ورد في (يشوع٢٣:٩) "ولكـــن الصقوا بالرب إلهكم.." كما وردت في (مزمور٦٣:٨) "التصقت نفسي بك" وفـــي (أرميـــا٥٠:٥) "... هـــلم فنلصـــق بالرب بعهد أبدي لا ينسى" وأخيراً في (كورنثوسالأولى٦:١٧) "وأما من التصق بالرب فهو روح واحد" – **وتتمسك الفرق**

المستحدثة بهذه الآية الأخيرة لتصورها وكأنها تعني حالة اندماج للكنيسة في المسيح!! وذلك بموجب المعنى الظاهري المستنبط من حرفية الالفاظ فحسب!!

أما عن معناها فأنها تعني "التعلق" – والتمسك والاقتران وكان أول استخدام لها في (تكوين٢:٢٤) في تعقيب الوحي على ترحيب آدم بامرأته بالقول: "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً" (أفسس٥:٣١) وطبقه على المسيح والكنيسة في العدد التالي أي٣٢.

وقد سبق أن بينا معناه وهو أنه ليس أنهما أصبحا كياناً إنسانياً واحداً وإنما المعنى هو أن يكونا معا وحدة نفسية روحية فأن آدم وحواء لم يصبحا جسماً واحداً منظوراً بل كيان واحد غير منظور وغير معروف كما يظهر الزوجان للعيون المجردة اثنين لا واحد!!

مما ينفي الاتحاد الظاهري الشامل بينهما والذي ارتآه من يسيرون في ركاب التفسير الحرفي البحت رغم أن الواقع لا يؤيده!!

ومع أن الرجل والمرأة كانا في الأصل واحد فلقد كانت المرأة في الرجل أُخذت منه وأُعيدت إليه لحاجة كل منهما للأخر **إلا أن القياس هنا مع الفارق بالنسبة للمسيح و الكنيسة فإنها لم تكن قط جزءاً منه ورُدت إليه!!**

وقد جاء شرح كلمة "الالتصاق" (في الكتاب المفسّر الإنجليزي) بأن له فاعلية أبعده من مجرد الالتصاق الجسدي فهو ليس مجرد التصاق في الأجساد بين الزوجين **بل أنه اتحاد بين العقلين بالنسبة للوصول إلى حياة مشتركة يألفها الزوجان معاً...!!**

وبالانتقال إلى ما جاء في كورنثوس الأولي الإصحاح السادس نجد نصاً يقول: "بأن الجسد للرب والرب للجسد" ولذلك فإن أجسادنا هي أعضاء المسيح.. وهنا نري أن أجسادنا وليس أرواحنا هي موضوع التعامل والروح القدس يسكن فينا ليربطنا بالرب ويجعل أجسادنا أعضاء المسيح... وإذ الأمر هكذا فإن الزنا ليس له مكان بل يعتبر أمراً فظيعاً بالنسبة لاتحادنا بالمسيح...

ويأتي الرسول بالتشبيه الآتي في هذا الأمر كمقارنة بين وضعين مختلفين

فيقول: "كما أن الشخص الزاني يعتبر في وحدة مع المرأة التي زني معها – الأمر الـذي لا يـتوافق مـع كوننا أعضاء المسيح – فالزني هنا خطية لها صفة خاصة تختـلف عن أي خطية أخرى خارجة عن الجسد إذ هي خطية ضد الجسد – الذي هـو هيكـل لله يسكنه الروح القدس **ويظهر الرسول خطورة إتلافه بواسطة بعض الأشخاص ممن سيخلصون ولكن كما بنار!!**

أما العلاقة السليمة بالرب فإنما هي التصاق بالإيمان ليجعل الملتصقين به روح واحـد – وهذا إنما يعني **بأن اتحادنا بالمسيح – وهو اتحاد شخصي** – مع أنه قد جـاء هنا في صيغة الجمع في كلمة "أجسادكم" (ع١٥) **إنما هو سر الشركة الأكيدة المـباركة معـه** – وهذا الارتباط يمتد إلى جميع المؤمنين الذين يكرسون جسدهم لسكني الروح القدس!!

فـإذا عدنـا إلى مـا سبق أن بدأناه عن أن "الجسد للرب" – مع أن الأطعمة والجـوف ليسا بدائمين لأنهما إلى الفناء في الاستعمال – أما الجسد – وهو هيئتنا المـنظورة فإنه للرب من الآن أي ونحن في هذا العالم وسيكون ارتباطه به أقوى وألمـن بعد هذا الوجود الزماني لأنه حينئذ سيكون كاملاً وروحانياً... ومن ثم فلا مجال ولا قبول لإعطاء المؤمن جسده للزني وارتباطه بذلك بزانية – لأن كلمة الله تعلمـنا بـأن المخالطة الجنسية تجعل الاثنين جسداً واحداً – ومعني ذلك أن الجسد الـذي هـو مـلك للمسيح وحق لـه قد سلم بالزنا إلى شخص آخر، **وهذه مسألة خطيرة**... لا تختفي نتائجها الزمنية والابدية على أحد!!

ولمـا كـان الروح القدس هو القائم بتحقيق سكنى الله في أجساد المؤمنين وأن ذلـك يجعـل أجسـادهم مقدسة **فإنه بالتالي هو الروح الواحد الذي يتمم التصاقنا بالمسيح فنصبح ونحن للمسيح روحاً واحداً معه لأنه بعينه هو روح الله – ولكن هـذا الالتصاق – وهو روحاني بحت – لا يعني التطابق مع حقيقة الاتحاد الذاتي الـذي بموجبه حل كل ملء اللاهوت في جسد المسيح أي ناسوته وشتان بين هذا الحلول الفريد وبين امتلائنا بالروح القدس كموهبة أو قوة كما سبق الإيضاح...**

فالالتصـــاق المشـــار إليه هنا إنما هو شركة روحية تنشئ في المؤمنين حياة روحيـــة وواســـطة هذا الالتصاق هي الإيمان – وينتج من هذا كله أنه يجب على المسيحي أن يمتنع عن كل ما ينافي ذلك!!

لأن تكريس الجسد للرب معناه سيادته عليه وامتلاكه لـــه – فلا يجوز لنا أن نســـتخدم مـــا هو للمسيح على هوانا لأن أجسادنا قد أصبحت أعضاء المسيح أي أعضاء جسده السري – فالالتصاق بزانية إذاً إنما هو أمر مهين للمسيح ولنا.

لأن مـــن يلتصـــق بالرب يصبح شريكاً بالإيمان في روحه – فكيف يليق بمن التصق بالرب أن يلتصق بزانية ويصير معها جسداً واحداً – شئ غير معقول لا مع اعترافنا ولا مع علاقتنا – ولذلك يناشد الرسول المؤمنين هنا بالهروب من الزنا...

لأن المؤمـــن قـــد تقدس جسده باتحاده مع المسيح الأمر الذي صار به روحاً واحداً معه – فمن ذا الذي يستطيع تغيير هذه العلاقة بعلاقة أخرى مع زانية أو أي نـــوع من الإشباع الشهواني – ومن ثم وجب الاختيار بالنسبة لكل مؤمن بين اتحاد مـــن هذيـــن الاتحادين (مع زانية أم مع المسيح) وهناك من يرى أن المقابلة بينهما تصـــل إلى حـــد أن الكلمة اليونانية الواصفة لكل منهما تأتي تحت كلمة "جسد" لا "روح" **ولكنـــنا بعد اتحادنا بالمسيح ننقل إلى الشركة المقدسة معه فنصير "روحاً واحداً بمعني أننا صرنا مرتبطين بالمسيح بالروح الواحد الذي هو الروح القدس!!**

نعـــم لقد صارا واحداً معاً ولكن في جسد "سري" (تشبيهي) دون أن يكون له واقعية مطلقة كجسده الحقيقي الذي تجسد فيه!!

ومـــن ثم فإن هذا التمييز الخطير للغاية قد فات على الفرق المستحدثة إدراكه **فقـــامت بالخلط بين جسدي المسيح المبارك الحقيقي (الحرفي) والآخر التشبيهي (السري) الذي هو الكنيسة.. وكان ذلك منها كوسيلة فعالة لمنح الكنيسة الكرامة الـــتي للمسيح وحقوقه كاملة شاملة وبدون أستثناءات وبذلك ظهرت هذه الضلالة الخطيرة وهي أننا نعبد المسيح ونسجد لـــه في كنيسته فوآسفاه!! على ما بلغته تلك الفرق من مآسى تقشعر لها ابدان المؤمنين الحقيقيين!!**

أمـــا عـــن قول الرسول "**لأننا أعضاء جسمه**" (أف٥: ٣٠) ووصفه ذلك بالقول "**مـــن لحمه ومن عظامه**" فقد ظنه القس أمين نصرت بأنه قول يتطابق تماماً مع ما قاله آدم لحظة أن أستقبل حواء مرحباً بقوله: "هذه الآن عظم من عظمي ولحم من لحمـــي" (تـــك٢: ٢٣) وهـــو قول بالنسبة لآدم وحواء صادق تماماً لأنها ضلعة من أضلاعه فعلاً فلا غرابة أنها كانت فيه وخرجت منه وعادت إليه **فالامتزاج بينهما أمر تلقائي طبيعياً الأمر الذي لا يمكن تطبيقه بكامله – أي على هذا الوجه – بين المسيح والكنيسة بوجه مطلق بدون تحفظات** ولذلك جاء نص العهد الجديد مختلفاً عمـــا ورد فـــي قصـــيدة آدم بالقول "أننا من لحمه" والمقصود به التحامنا به بشبه الأعضاء اللحمية في الجسد الإنساني فهو تعبير تصويري لاتحاد الأعضاء معاً مع بعضهم البعض ومع الرأس!!

ممـــا يســـتحيل معه التفرد والانفصال بأية صورة مما يشبهه ارتباط الأغصان بالكرمة... **فالمسألة هنا إذاً ليست مجرد انتساب لا ارتباط فيه ولكل كيانه المنفرد لأن هذا ما يراه من غير العارفين بالحق وغير المؤمنين بالمسيح، علماً بأن هذا الارتباط المشار إليه غير منظور حالياً وذلك لأنه ليس أرضياً أيضاً.**

أمـــا في قوله : ومن عظامه فإنه يظهر وحدة الكنيسة، بأجلـــى بيان حيث أن عظامـــه باقية لا يكسر منها شئ بحسب ما ورد في النبوة ولقد كان الأتمام الحرفي لذلـــك في الصليب وأما الروحي فإنه يظهر في تطبيقه على الكنيسة وخاصة – في معـــناها التحقيقي العام – كما وفي أجزائها المحلية فإنها في كلتا الحالتين غير قابلة للكســـر والـــتفرق كما يظن البعض!!! ولكنه لا يصل إلى اعتبار "الكنيسة" كجسده الحقيقـــي تمامـــاً ومـــن كل وجه!! وهذه هي نظرة الله اليها وهي في قلب الكنائس الاســـمية المذهبية التي ظهر فيها الكسر والتمزيق لأنها ليست جسد المسيح الذي لا يجوز عليه الكسر بتاتا وسوف يعمل إلى الأبد بدون أن ينكسر أو ينقسم أو تقع عليه عوارض من هذا القبيل!!

الفصل التاسع

جسد المسيح في معانيه الثلاث

" انظروا يدي ورجلي إني أنا هو،
جسوني وانظروا فأن الروح ليس له
لحم وعظام كما ترون لي" (لو ٢٤: ٣٩).

• **جدل مثير حول تعدد ما يوصف بأنه جسد المسيح :**

لقد كان للقديس كيرلس الأسكندري فضل السبق في إثارة هذا الموضوع في كتابه: "الكنيسة جسد المسيح" فهو يبدأ في ص٦ بالقول في وصف "سر الجسد" بأنه سر الوحدة القائمة في الكثرة وسر التطابق والتمركز في التنوع. ويتقدم في ص٧ إلى القول بأن: "**هذه الوحدة تتحرك في ارتباط وثيق بين مفهوم التجسد والأفخارستيا.. فالجسد الشخصي للمسيح صرنا نتحد به عن طريق الأفخارستيا التي تعمل فينا عملاً مشابهاً لما يعمله الكلمة "اللوغس" في جسده المتحد به...** على أن ذلك لم يمنعه من تمييز ثلاثة معاني للجسد الحي يذكرنا بها في ص٨ وهي:-

أولاً : جسد المسيح الشخصي.

ثانياً : جسد المسيح الأفخارستي.

وأخيراً : جسد المسيح الجماعي الذي هو الكنيسة.

وبين قوسين يضع العبارة الآتية :

منهج كيرلس في توحيده للمعاني الخاصة بجسد المسيح (وطبعا هو هو جسد المسيح الواحد في هذه المعاني أو الصور الثلاث).

وهو يرى الكنيسة على المستوى الروحي كجسد عضوي حي وعلى المستوى التنظيمي كمنظمة... وهو يستخدم نفس العبارة الواصفة لوحدة الأقانيم – وهي وحدة طبيعية – بأنها ما يتم في الإنسان المسيحي حينما يتناول من جسد المسيح (أي في الأفخارستيا) ص١٤ **وهو يعود فيقرر أن المسيح هو حجر الزاوية في بناء الكنيسة ولقد توارى عن أنظارنا يوم صعوده ولكنه بقي في وسطنا في**

الكنيسة (ص١٦) والبشر واحد في المسيح الذي اتحد بهم طبيعياً بواسطة جسده في التجسد وفي الأفخارستيا (ص١٨) وهو يصف الأفخارستيا بأنها تدخل إلينا المسيح جسديا بالشركة في جسده والتناول منه وأننا نصير شركاء في الجسد معه بواسطة الأفخارستيا، ونصير معه جسداً واحداً... وهكذا بقبول جسد المسيح ودمه الكريم يكون هو فينا ونحن نكون متحدين فيه (ص٢١) وهو يستشهد بالمسيح الذي يصرخ قائلاً: "من يأكلني فله حياة أبدية" (يو٥٥،٦:٥٤). ويعقب هنا بالقول أن الحياة الأبدية هي في الواقع جسد الحياة أي جسد الابن الوحيد ص٢٢ ولذلك نجده يقول في ص٢٦ لقد صرنا متحدين في الجسد بواسطة الأفخارستيا (ص٢٦) وهو يصف المعمودية بأنها توحد حديثي الإيمان مع الله كما توحد جميع المؤمنين فيما بينهم في وحدة المسيح والكنيسة ص٣١ وهو يركز على تحقيق الوحدة في جسد المسيح الذي يوزع إلى آلاف المؤمنين المنتشرين في العالم ومع ذلك يحتفظ بكمال وحدته لأنه يعطي بأكمله لكل واحد... وهو يصف وسيلة اتحاد المؤمنين هذه بأنها ابتكار إلهي إذ أنه بواسطة التناول السرى من جسد واحد هو جسده الخاص يجعلهم بذلك جسداً واحداً معه بالكمال ... بواسطة هذا الجسد المقدس الوحيد إذ نتناوله في أجسادنا وهو واحد غير منقسم فنحن بذلك نكون أعضاء المسيح ونكون له أكثر مما لأنفسنا... وبذلك فإننا نكون شركاء في الجسد مع ذاك الذي يحل فينا بجسده الخاص... وأننا قد صرنا بذلك ممتزجين جميعاً بعضنا بالبعض ومع الله... لأن جسد المسيح – وهو جسد محيي فحينما نقبله في الأفخارستيا نجده معطي لنا فيها ولكونه المحيي يعطينا الحياة...

فبالتناول من ذبيحة المسيح تنتقل حياة ابن الله ذاته، الموجود بحق على مذابح الكنائس... فهو يكون حاضراً بالحقيقة في وسط الجماعة مقدماً نفسه كذبيحة إذ يكون قد حل مكان الخمر السائغ والدم الكريم الذي للمسيح الذي استحقاقاته اللانهائية قد كفرت بسعة عن جميع خطايانا، وكذلك الخبز لم يتبق منه إلا المظهر... فإنهما قد تحولا تماماً بالحقيقة إلى جسد المسيح ودمه بالقدرة غير الموصوفة التي لإله قادر على كل شئ عند قوله "هذا هو جسدي – وهذا هو دمي"

وقـد أصبحنا في الواقع **حقيقة جسد المسيح عينه** بل أن إقامة هذا السر تحقق لنا **ذبيحة حقيقية تعتبر استمرار لذبيحة الصليب ولا تختلف عنها إلا في كونها ذبيحة غيـر دموية... وبالتناول من ذبيحة المسيح يدخل المؤمنون في شركة حياة ابن الله الإلهيـة والأبديـة**... فالابن هو حياة بصفته مولوداً من الآب المحيي وجسده المقـدس **امتزج نوعاً ما** بالكلمة باتحاد سرى... **فنحن جميعاً إذ نأكله نقبل الحياة فـي أنفسـنا لأنـنا نكون متحدين بهذا الجسد كما هو متحد بالكلمة الحال فيه... وبذلـك يكون اتحادنا بالرب اتحاداً طبيعياً وواقعياً** فإنهم ينالون منه إحياء وتقديساً لنفوسهم وأجسادهم... بل أن جسد المسيح يحولهم إلى خلود وحياة...

فالتنـاول من جسد المسيح هو أصل وجوهر وحدة الكنيسة الجامعة وهو كمال الوحـدة وإذاً للتصهر جميعنا في جسد واحد في المسيح إذ نأكل جسداً واحداً وهكذا نكون واحداً فيه... **وهكذا تتركز الوحدة الطبيعية والروحية بين المسيح والإنسان المسـيحي بواسطة التجسد والأفخارستيا. فالأفخارستيا إذاً هي رباط وحدتنا لأن التناول السرى من جسد واحد هو جسده الخاص يجعلهم جسداً واحداً معه بالكمال** وبعضـهم مـع البعض... وبذلك نكون أعضاء المسيح ويكون المسيح لنا هو في الواقع رباط الوحدة إذ نكون أيضاً شركاء في جسد واحد...

هـذا هو الجسد الحي الذي يعتبر الوضع النهائي لفكرة "ملكوت الله" التقليدية والـتي توصلنا في النهاية إلى "المسيح" نفسه الذي هو "الكنيسة" (الصفحات٣٧-٤٦) ومن هنا كان التركيز على عبارة "الجسد السرى" عند القديس كيرلس الكبير!! وهـو يختم مذكراته دون حاجة إلى اقتباس أكثر مما أوردناه في هذا الشأن بالقول: **"هـذه هـي طـريقة الاتحـاد بالله** التي يطلبها ربنا من أجل تلاميذه **وذلك بحلول اللاهـوت فيهـم والشـركة معه"** (ص٦) وقد أفسحنا كل هذا المجال لكلماته التي أفاضت في شرح "الاستحالة" التي يتضمنها "سر الأفخارستيا" ولا يسعنا هنا إلا أن نحيـل القـارئ العزيـز إلى ردنـا عليها في كل ما كتبناه عنها في كتابنا: "سر الأفخارسـتيا" **وإنما يعنينا هنا الإدماج الواضح بين صور جسد المسيح الثلاث فقد**

خلط بين جسده الخاص – الذي لـه بطبيعة التجسد – وجعله يحل في الأفخارستيا باعتبارها في نظره "الجسد السرى" ومن ثم ينتقل منها إلى "الجسد الجماعي" الكنيسة – وإذ الأمر هكذا فما المانع لديه من أن يكون المسيح نفسه هو الكنيسة وبالتالي ماذا يمنع من حلول اللاهوت فيها رغم خطورة النتائج!!

ولننتقل الآن إلى ما تعتقده "الفرق المستحدثة" في هذا الشأن بدون أن نتحقق من موقفها نحو "الأفخارستيا" **باعتبارها الوصلة الأرثوذكسية التي يتم عن طريقها تحويل جسد المسيح الحقيقي إلى جسده السرى ثم إلى جسده الاعتباري الذي هو الكنيسة** على النحو الذي سبق شرحه بالاقتباسات التي أخذناها عن كيرلس الكبير...

- **القس أمين نصرت يتابع لحد كبير منهج كيرلس :**

فنتوجه الآن إلى ما ورد في كتابات من يمثل تلك الفرق في هذا التعليم القديم الجديد الذي عن طريقه سنشاهد **نفس المنهج – أي تحويل جسد المسيح الحقيقي الخاص به إلى جسده الانتسابي الذي هو الكنيسة**: ونبدأ بما أورده القس أمين نصرت في صفحة ٣٢ من كتابه "أنا والآب واحد" بقوله: "**بأننا لن نتكمل إلا بكينونته فينا**"... وهنا نلاحظ أن الابن الوحيد قد أعطاه إياه الآب" وفي ص٣٤ نجده يقول: "**وإن كنا نتحدث عن إنسانية يسوع المسيح فنحن نتحدث بكيفية غير مباشرة.. عن كنيسته التي أعلن بأنه أعطاها المجد الذي أعطاه له الآب** وفي ص ٦٤ نجده يقول: "**وأن كنا نتحدث عن المسيح الإنسان فلا يمكنني بأي حال من الأحوال أن أتجاهل أعضاء جسده... وهنا ألاحظ أن كل شئ تحت قدميه (والقدمان هما في الجسد والكنيسة هي جسده) بمعنى أن كل ما أنجز بإنسانيته ولإنسانيته قد أنجز لحساب كنيسته!**

وقد ورد في نبذته الوداعية عن النص الذي ورد فيه "لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه... وهو يعلق على هذا النص بالرجوع إلى اليوناني بأنه يستطيع أن يفهم **أن لا مجاز في النص... بل نحن جسده الحقيقي**" أما عن الكنيسة كملء

المسيح فيقول: فإن كان المسيح هو الذي يملأ الكل في الكل... **فالوحي يظن أن الكنيسة هي ملء الذي يملأ الكل في الكل أي أن الكنيسة هي ملء المسيح!!؟؟** (ص٤) وقد راقته هذه الفكرة – وقد تصدينا لها في الفصل السابق – إلى أن أوصلته إلى القول في (صفحة٥) الذي نصه: **"ليس هذا فقط بل أننا نؤمن بأن الكنيسة الحقيقية التي هي أعضاء جسمه... من لحمه ومن عظامه – والتي هي جسده هي امتداد تجسده أي استمرار تجسده وإعلان تجسده بمعني أنه في ملء الزمان إتخذ لنفسه جسداً من القديسة العذراء مريم إذ وجدت حبلي من الروح القدس (مت١:١٨) وفي يوم الخمسين أتخذ لنفسه جسداً بالروح القدس من أولئك الذين توحدت قلوبهم بالروح القدس وهذا الجسد متحد بالجسد الذي قام به من الأموات (أي الجسد السابق الذي اتخذه من العذراء) لأنه رأس الجسد الكنيسة (كو١:١٨) بمعني الفكر المدبر نبع المواهب ومصدر الروح وهذا طبعاً على أساس تجسده وموته وقيامته!!**

وهذا كله إنما هو من قبيل الخلط بين الجوهر الإلهي اللامتناهي والذي للمسيح دون توقف أو انقطاع وحال هذه الأقوال التي تحدده بالنسبة لجسده الحقيقي الذي له بالتجسد وذلك بالاسترسال في تركيزه في الكنيسة لديه أو استخدام الأفخارستيا في ذلك!!

وهذا الذي وصلت إليه هذه الفرق المستحدثة إنما هو فريد لا يجيزه النص ولا العقل لكون الكنيسة مجرد أفراد من البشر قد تجمعوا معاً في الوحدة الروحية التي يعبر عنها بالجسد والتي تربطهم بالرأس!!

• الرد على مقاهات التفسير بالنسبة لجسد المسيح :

من المعلوم بالإجماع أنه نظراً لأن الله ظهر في جسد يسوع المسيح فإذاً وجب أن يكون يسوع المسيح هذا هو الله الظاهر في الجسد **وهو بذلك آية استعلان الإلوهية**، ومن ثم فإنه هو الذي لا يمكن أن يحده شئ على الإطلاق... أنه فوق كل الأشياء الحامل لها جميعها فلا يمكن حصره في حدود المعرفة أو الإحاطة به بأي

حال من الأحوال كما سبق أن أشرنا وأثبتنا في فصل الأسرار!!

ومـــن ثم فإنه شتان بين يسوع المسيح **مظهر التجلي الإلهي المنعكس على أن له الصورة الجوهرية للذات الإلهية كاملة في اللاهوت الفريد باعتباره أحد الأقانيم الـــثلاثة... وبين جميع الكائنات غيره، وهي مخلوقة به وله فهو ذو جوهر واحد مع أبيه** والمنفذ مشورة الخلق إذ أن به كان كل شئ!!

هـــذه لمحـــة عن نطاق الإعلان الإلهي ومطلوب منا بازائه أن نقف عند حد معـــلوم فـــي تفسيره لأن معرفتنا جزئية وهي بقدر ما سمح الله لنا بها حسب طاقة احتمال عقولنا وما رآه في حكمته بأنه كاف لا دونما حاجة إلى تجاوز هذه الحدود التي رسمها لتفكيرنا وفهمنا...

وفـــي الواقـــع فإن الحقائق الكتابية يمكن للعقل أن يقبلها دون التطاول في تفسيرها على"الوجه الذي نريده لأنها – عندما نرتئي فوق ما ينبغي سنجد أنفسنا أمامهـــا حائرين وكأن أمامنا طريق مسدود!! وفي هذا الضوء نكشف عن اتحادنا بالمسيح – وهو اتحاد "شخصي" وأن كان يراد لـــه أن يتحول إلى "جماعي" تحت اسم "الكنيسة"!!

فـــإذا مـــا جئـــنا إلى عبارة "لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه" التي تصـــورها من سبق ذكرهم بأنه يجب أن تؤخذ على محمل التفسير الحرفي لتكون وصـــفاً للكنيسة كجسد الرب فإننا نقول بشأنها بأنها تصوير واقعي مثير لمفهوم "جسد المسيح" "الكنيسة" على أساس تشبيهه بالجسد الإنساني بأعضائه الكثيرة : وفـــي هذا التعبير يبلغ تصوير الكنيسة فيه إلى أروع وأعظم ما يكون **فقد بلغ من الســـرية ما يفوق العقل والخيال لأنه يجمع أفراد الكنيسة في وحدة روحانية تلغي الفوارق دون أن تمس شخصيات الافراد أنفسهم أو تدمج الكنيسة فى المسيح!!**

فالمسيح أخذ حقاً وفعلاً جسداً لنفسه من البشرية من لحمها ومن عظامها ثم إذ مـــات فأنه مات بالجسد الذي أخذه منها عن طريق العذراء فماتت البشرية فيه ومعـــه ثـــم قام من الأموات فقامت معه – وهكذا أعطانا من جسده القائم بشريتنا

الجديدة بلحمها وعظامها الجديدين أي أنساتنا الجديد – وهكذا جعلنا جسما جديدا نسبه إليه أي خليقة جديدة مولودة ولادة جديدة روحياً فيه... فتعبير بولس هنا إنما هو تعبير أخر عن الواقع الحي تتمثل فيه علاقتنا السرية النسبية معه فنحن – أعضاء هذا الجسد– قد أعتبرنا من لحمه ومن عظامه وهو ما أراه لتلاميذه بعد قيامته بجسده الحي عندما قال لهم: "جسّوني وانظروا فأن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي – وهذا يعطينا اليقين باستمرارية جسده الخاص (الطبيعي) من قبل القيامة ومن بعدها وأنه لذلك مما لا يقبل الاختلاط أو الاندماج لا في الأفخارستيا ولا في الكنيسة لأنه يخصه وحده ويتميز به لأن جسمه هذا وقد تمجد هو جسم روحاني وسماوي وسيبقي في مجده الأسنى شاهداً لقيامته وجسده هذا هو الذي يسميه الرسول في فيلبي٣ "جسد مجده" وهو الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورته!! وهكذا يتميز جسده الطبيعي الحرفي عن جسده المجازي الذي هو "الكنيسة"!!

فكما أنه هو حي بجسده الخاص (الحقيقي) الذي تجسد فيه وهو الذي فيه كل القدرات التى تخضع كل رياسة وسلطان – وإذاً فإن خضوع كل شئ تحت قدميه إنما هو خضوع لقدمي جسده المبارك هذا دون حاجة إلى تحويله للكنيسة لأن الأقدام حسب رأي القس أمين هى في الجسد وهو بذلك قد وضع الجسد الانتسابي أي التشبهي محل جسده الطبيعي لكي يعطي لكنيسته عظمة خاصة بأن كل شئ خاضع لها الآن وهيهات أن يكون هذا صحيحاً ولو أنه خطوة في طريق مساواة الكنيسة بالمسيح الأمر الذي تجلى في قوله بأن كل ما للمسيح إذاً هو للكنيسة ونتج عنه التصريح الغريب في القول : "إذاً فإن المسيح هو الكنيسة"!!

وإذاً فإن تفسير أننا أعضاء جسمه لا يعني ما ذهبوا إليه وإنما معناه أننا متحدون به اتحاداً فائقاً بالمعني الروحي!! ولذلك فإن اضطهاد شاول لم يكن واقع على المسيح شخصياً ولكن على المؤمنين باعتبارهم جسده – ولكن ذلك ليس في المعني الحرفي المطلق، بل حتى شدائد بولس لأجل جسد المسيح أي الكنيسة فإنها لا تعني أن آلام المسيح الكفارية بجسده الحقيقي كانت ناقصة بل أن ما احتمله

بولس من هذا القبيل إنما كان لأجل الكنيسة كجسده السري فحسب!!

ومن ثم فإن تجسيم العبارة على الوجه الذي سلف ذكره إنما هو أمر في غير محلـه بـل هـو خلط للمفاهيم فإذا أضفنا إليه اعتقاد القس أمين نصرت باتحاد الكنيسة كجسد المسيح والتي بدأ تكوينها يوم الخمسين بجسده الحقيقي الذي أخذه مـن العـذراء إنما هو قول باطل لا يستند إلى أي دليل كتابي كما أنه غير مقبول عقـلاً لأن المـنطق أيضـاً لا يستسـيغه إذ هو قريب من الخرافات التي يحاول أصـحابها أن يـنزلونها في منزلة الحقائق وهو أبعد ما يكون عن مجرد الاتحاد الـروحي المـبارك الذي به يتم اقتران كل مؤمن حقيقي بالمسيح بسكنى الروح القـدس فمـا بـالك بما وصل إليه كيرلس الكبير في إدماج المعاني الثلاثة لجسد المسـيح معاً، فإنه بعد أن بين ما هي عاد فخلطها خلطاً تاماً كاملاً وشاملاً معظماً عقيـدة الاسـتحالة فـي سـر الأفخارستيا الغريب فهو يرى بأن جسد عماتوئيل الحقيقـي الـذي اتخذه من العذراء مريم قد حل هو بعينه في المناولة وذلك رغم أنف وجوده ممجداً في السماء كما أنه يقول بأن بالتناول منه في الأفخارستيا يتم وصول جسد المسيح الحقيقي للمؤمنين!!

ومن ثم فأننا لا ندري بعد هذه التحولات لجسد المسيح الحقيقي أين هو الآن – لأنه أن كان قد توزع في الأفخارستيا على آلاف بل ربوات من تناولوه فما هو مآله وإلى أي نهاية يا ترى يكون قد إنتهى مع أنه رغم كل هذا الإدعاء موجود في السماء مسيح من الملائكة القديسين ومن البشر المفديين!؟ وأننا لنتساءل بالنسبة لهـذا كله الذي ذكرناه – ما الداعي لـه وما مرماه وهل تستقيم أسبابه وهي تعلية شأن الكنيسة ورفعها إلى درجة التساوي مع المسيح!!

أليس في ذلك معنى التأليه الذي دخل في نطاقه كيرلس الكبير من قبل والفرق المستحدثة من بعد – حمانا الله من فخ إبليس الذي نصبه داخل المسيحية ليصطاد مـن تخفي عنهم حقائق الكتاب بإرادتهم وليتهم يرجعون عن هذه المتاهات خير لهم وللآخرين الذين معهم!! هذا اذا ارادوا أن يحسنوا لإنفسهم ولمن يخدمونهم!!

الفصل العاشر

هل يجوز السجود لغير اللّٰه!؟

" لا يكن لك آلهة أخرى أمامي... لا تسجد لهـن ولا تعبدهن" (خر٢٠:٣-٥) للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (متى٤:١٠)

• السجود في جماعة الرب وهو يحتوى على ثلاثة أخطاء :

لقـد وصلنا الآن إلى ما يعلنه القس أمين نصرت في نبذته الوداعية في البند٨ عـن "المحبة الأخوية" وكيف أنها علامة الحياة الروحية وعلامة الولادة من الله – حسـب النصـوص الواردة في (رسالة يوحنا الأولي٤:٧،٣:١٤) وأن قياسها هو التضحية لأجل الأخوة (١يو٤:٢٠) وهو النص الذي ورد به: **"لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره".**

ويعقب حضرته على ذلك بالقول: **"ألا يعني أن أخي هو قبلتي في المحبة إلى الله"** الأمر الذي يبني عليه أمراً خطيراً سنذكره فيما بعد ولكننا نسأله – قبل الدخول فيـه– **من أين أستقي كلمة "قبلتي" هذه** وقد ورد في قاموس المعجم الوسيط عنها **بأنها الكعبة لأن المسلمين يتقبلونها في صلاتهم** – ويقال **"اصنعوا بيوتكم قبلة أي مسجداً** – وحضرته وهو يقتبس هذه الكلمة لم يجد فيها أي غضاضة **مع أنه بحسب وصفه لها ستجعل من آخي مقر أو جهة أسجد فيها لله** – ولسنا ندرى كيف يكون سجودنا حينئذ – الأمر الذي يعود حضرته فيوضحه بالقول: "أننا بينما نسبح الرب بالنص: **"أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك... أسجد في هيكل قدسك... بخوفك** (مز ٥:٧) الأمر الذي استطرد فيه إلى القول: **أننا بينما نسبح الرب بهذا النص ننحني لبعضـنا البعض في إيماءة أقرب للسجود منها للتحية...** ثم يعود فيقول: "نحن لا نعـبد إلا الله وحده كما قلنا قبلاً في البند رقم٢ **ولكـن أن كان النص في (مز٥:٧) يعـلن أن السـجود فـي هيكل قدسه... وبيته نحن** (عب٣:٦) ويقتبس من (أف ٢:٢١،٢٢) أننا هيكلاً مقدساً في الرب.. مسكناً لله في الروح **فمن المعقول واللائق أن نسـجد للرب في بعضنا البعض وهو يعتبر ذلك سجود لله بين أخوتنا الذين هم مسكن الرب"** وهو يكرر ذلك في القول... **بأننا قد قبلنا مبدأ أن أتوجه بالحب إلى**

الله وقبلتي أخي لأنه المنظور... (ص١٣).

ونـــراه يفتـــتح هذا النوع الجديد من العبادة بقوله : أننا نتحدث في أمر أخذ حجماً أكبر من حجمه.. ألا وهو موضوع السجود!!

فهـــو إذاً يـــرى أن سجودنا لله لا يجب أن يكون مباشر – لأنه لا يرى وإنما يكـــون عـــن طـــريق قبـــلة – أي مكان أو جهة معينة هي أخي وهو بذلك يزعم بإمكانيـــة تقديم السجود لله في البشر بشرط أن يتم ذلك فيمن هو أخي وأختي... فياله من نظام جديد في العبادة في نطاق المسيحية عينها التي لا تعترف بالسجود سوى لله ولابنه يسوع المسيح وذلك بحالة مباشرة سنشير إلى أسبابها فيما بعد – ولكننا قد وجدنا في نظام العبادة الجديد الذي أشرنا إليه ثلاثة أخطاء:

الأول : أن يتـــناقض مع نبذته "بل بالصلاة... مع الشكر" إذ جاء منها قوله في ص٤ فـــي معنى الصلوات أنه قد أكتشف فيها معنى "التعبد" وهو يصفه بالقول... وهذا التعبد هو أن أجذب نفسي إلى الله وهذا فعل إرادي فالشخوص (ومعناه في القـــاموس رؤية الشيء بالبصر أو رؤيته وقد بدا من بعيد) لذاته يجب أن يكون هدف الحياة ولن يجذبني هو إليه إلا بعد أن أعشق أنا ذلك – ولسنا ندرى إذاً – حتى في ضوء كلامه هذا عن أنني هل أعشق الله في ذاته أم اعشقه في أخي أو أخـــتي وهمـــا مـــن خلقه – وأن كنت سأعشقه فهل سأراه بالعين الداخلية حسب التطويـــبة القائـــلة "طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت٥:٨) وهذا قول خارج من فم المسيح نفسه!!

أم كمـــا قال حضرته في نفس النبذة المشار إليها في ص٥ "بأنك وأنت فوق تطلب الشخوص لذاته له كل المجد ليس هناك ما يشغل بالك سوى ما بين المسيح وبيـــن الآب مـــن حب وعرسية فائقة ثم يعود فيقول بعد ذلك: "وهنا نلاحظ أن ما قلـــناه عـــن الشخوص والاستغراق فيما بين الآب والابن ودخولنا في هذه العلاقة الأقنومية الفريدة وهو بعينه تقديم ذبيحة مسرة!! فياله من تناقض ادعائى فاشل!!

الثاني : يبدو أن القس أمين نصرت يميل إلى مخالفة المعلوم للخروج منه إلى

المجهـــول على أساس مبدأ "خالف تُعرف" فترى من من المسيحيين لم يفهم بعد أننا **رأينا الله في المسيح "الذي هو صورة الله غير المنظور" وأننا بالتالي لا نحتاج أن نـــراه في أخوتنا أو جماعتنا ولسنا بحاجة أن نتخذ من هؤلاء قبلة قد تحجب عنا وســـاطة المسيح الفريدة وشفاعته اللامحدودة** فضلاً عن أننا نراه بوجه مكشوف فنتغير إلى تلك الصورة عينها كما من الرب الروح!

ويذكر كتاب : "اكتشافات القرن العشرين الأثرية" **عن نشأة الوثنية بأنها كانت تزعم الوصول إلى الله عن طريق معبوداتها التي قالت بأنه يتجلى فيها ثم تحولت إلى تكـــريم الأبطـــال وتخـــليد الحكـــام فجعلتهم آلهة وبعد أن كانت تعبد الأجرام الســـماوية انحطت إلى عبادة المخلوقات الأدنى وتحولت إلى اختراع الآلهة الإناث وهكـــذا تـــم لها عبادة المخلوق دون الخالق (رو١:٢٥) وهكذا أنكروه بتاتاً لعدم رؤيـــته أما نحن فأننا لم نرَ الله لنعبده مرئياً وإنما رأيناه في ابنه يسوع المسيح وقـــد ظهر في الجسد فعبدناه في ابنه الوحيد هذا الذي هو واحد معه في الجوهر فهـــل هـــناك ما يدعونا لأن نسجد لبعضنا بعض وكأن الله قد حل فينا كحلوله في المسيح!؟**

وهـــل هـــناك أى وجـــه لـــلمقارنة بين ظهوره في المسيح القدوس بظهوره المنعكس العارض الذي في بنى البشر... دون حاجة الى تفنيد الادعاء الكاذب بأن المسيح مجرد انسان عبدناه مكان الله!!

الـــثالث : هـــو خلط الأوراق وبالتالي المفاهيم فيما بين العهدين القديم والجديد فالآيـــة الـــواردة في (مز٥:٧) **إنما تمثل داود رجل الله وهو يحلم بالهيكل الذي لم يكـــن قد بني بعد وهو بيت الرب حينئذ** ومكان سكناه **وأما قوله بخوفك فإنه يعني** وأنـــا ممتـــلئ من رهبة حضورك، فرغم ما للهيكل المزمع بنائه من اعتبار كبيت يســـكن فيه الله إلا أن داود كان يشتاق إلى الحضور إليه لرؤية الله الساكن فيه – **فمـــا علاقـــة هـــذا الهيكـــل المادي بالبيت الروحي هيكل العهد الجديد حتى نؤخذ المعاني المرتبطة به وتدس في آية المزمور لإلحاقها به!؟**

• **فى معنى العبادة والسجود :**

المقصـــود بالعـــبادة "**شركة مع الله**" وهنا نراه من واجبنا أن نعرف أصل هذه الكلمة وقد وردت ١٣ مرة في الكتاب المقدس وهي في معظمها تقتصر **على عبادة الرب وحده وتحذير من عبادة الآلهة الأخرى وعبادة الملائكة والعبادة الناقلة** (أي عديمة القيمة لعدم مشروعيتها) ويفيد معناها العبري "**الركوع**" وهي تستخدم وصفا لـــلدخول عـــند شخصـــية عظيمة – **وهل هناك شخصية أعظم من الله – الملك!؟** ويدخـــل في معناها **أن يكون العابد عبداً للمعبود أي ملكاً** لسيده يطيعه في كل شئ ... وفي كتاب "**إيماني**" للقس الياس مقار توضيح لمعني كلمة "**عبادة**" يقول فيه أنها جاءت في الأصل اليوناني "بروسكانيو" **وهي تشير إلى معني "الانبطاح أمام آخر" والمصحوب بتقبيل القدم أو هدب الثوب والتي تعني الاحترام البالغ العميق** – وهي ذات الكـــلمة الـــتي استعملها الشيطان في محاولته تجربة المسيح (مت٤:٩) **ومن الغـــريب أن القس أمين نصرت قد تقبلها من إحداهن في رضاء تام ولسان حاله أنها من حقوقه المشروعة!!**

مع إنها جاءت في الترجمة السبعينية وهي في معني **العبادة والعبودية** – ومن الغريب أن كلمتي السجود والعبادة وردتا معاً في (خروج٢٠:٥، تثنية٥:٩، دانيال ٣:١٨، مـــتى٤:١٠) وأما ورودهما معا فذلك **لأن السجود بالجسد والعبادة بالروح** والإنسان الكامل كائن بجسمه وروحه معاً...

هذا وقد وردت في الإنجليزية في كلمة " Worship " و تحمل فكرتان وهما :-

١- "Workship" وتعني أن **أعطي كل عملي لله.**

٢- "Worthship" ومعـــناها "الاستحقاق" أي أني **أعطي العبادة لمن يستحقها أي الشـــخص العـــادل الكامل القدوس** الذي نرى فيه اتساع محبته وعنايته وعظمته – **ومن يكون هذا غير الرب نفسه**... فشعورنا بعظمته هو العبادة بعينها!! لأنها تولد فينا الرغبة في تمجيده وتسبيحه من أجل أعماله في الخليقة والعناية والفداء وكذلك الوقوف أمام قداسته وصلاحه بهيبة ووقار **وذلك يتم عن طريق المقابلة الشخصية معـــه التي فيها الشبع به وقد عبر عنها داود بالاشتياق في لقائه!! ولذلك وجبت العبادة لله على كل مسيحي.**

ولقد كانت العبادة قديما ممثلة في الذبائح والأعياد وتقدم لله في "خيمة الاجتماع" وبعدئذ في "هيكل سليمان" ثم فيما بعد في "هيكل هيرودس"...

• أسانيد السجود للبشر ووصفها بالاحترام والتكريم :

ويتشدق القس أمين نصرت في آخر صفحة من نبذته الوداعية بعد أن أورد ١٤ شاهد – **كلها من العهد القديم عن السجود للبشر وكان من بينها "السجود للرب وللملك (داود)** "مع أن لا غرابة في هذا الأمر هنا **لأن الملك كان يعتبر في الأيام القديمة أن له شخصية إلهية وكان يدعي "مسيح الله"** ولذلك كان الملك **رئيس السياسة والعدل** كما كان **رئيس الدين أيضاً** – وهذا أمر لا قياس عليه في نور الإعلان الكامل **الذي في ضوئه لم نعرف ملكاً يستحق العبادة سوى الله في شخص ابنه ربنا يسوع!!**

ويلحق بهذا الشاهد ثمانية شواهد أخرى تدور حول سجود أشخاص معينين بالاسم لداود وقد قبل سجودهم ومن بين هذه الشواهد سجود داود لشاول وحضرته يقر ويعترف **بأنه سجود الإكرام الذي يليق "بمسيح الرب"!!**

أما سجود داود ليوناثان عند قطعهما العهد والحلف باسم الرب بجانب حجر الافتراق **فكان بسبب الحلف نفسه** وكونه يؤكد بأن داود هو الذي سيكسب الجولة فكان من مقتضيات ذلك أن يراعي داود بسجدوه **الإكرامي ليوناثان** معاملته المستقبلية لبيت شاول – أما ذكره لسجود سليمان لأمه (١مل٢:١٩) **فهو لمجرد الاحترام ولا يقال في هذا المجال أنه نسى الوصية الواردة في (خروج٢٠:٥) وصار مشركاً وخاصة وأن سليمان من الشخصيات النادرة التي منحها الله الحكمة لتبحث في سائر الأمور والتي أدت به إلى التزوج من أجنبيات من بينهن إبنة فرعون وغيرها حتى بلغن الألف وجاء عنه النص في (١مل١١) أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى – أفكثير عليه أن يكرم أمه بعد أن شارك الوثنية في عبادتها وغضب عليه الرب – فهل يعتبر هذا مثالاً يحتذي به حتى يكون قدوة لنا في سجودنا بعضنا لبعض!** أما الشواهد الباقية التي يقدمها لنا القس أمين نصرت وهي الخاصة بسجود إبراهيم – وهو على حد قوله – سجود احترام – وسجود

يعقـوب لأخيه وسجود يوسف لأبيه وسجود موسى لحميه وسجود لوط للملاكين – لأن الرب الذي كان معهما وسجد له إبراهيم رفض أن يزوره كما فعل مع إبراهيم في وضح النهار واكتفي بإرسال الملاكين للوط في المساء وهذه هي الخمس مرات الـباقية من الأربعة عشر شاهداً التي أوردها **وقد تجاهل حضرته أنه كيفما يكون نوعها فأنها جميعها حدثت قبل نزول الوصايا وعلى رأسها السجود والعبادة للرب وحده ومن المعلوم أن الخطية لا تحسب حيث لا وصية..!!**

ثم يزداد استغرابنا هنا لاستناده السجود المستحدث الذي تنادي به الفرق الحديثة **ويطـنه القس أمين نصرت في ١٤ شاهد كلها من العهد القديم من بين ما لا يقل عـن ٢٠٠ شـاهد وردت فـي الكتاب المقدس عن "السجود"** ناهيك عن الانحناء والـركوع والذي هو وصول الوجه إلى الأرض وقد ورد ذكره ٥٠ مرة.. ولذلك جاء وصف السجود في اللغة العربية بأنه "وضع الجبهة على الأرض"!! **وهذه كلها تدور حول "السجود للعزة الإلهية فقط!!**

• لا سجود للبشر فى العهد الجديد :

فـإن حضرته لم يجد في العهد الجديد كله مستنداً واحداً يؤيده بل وجد **في منع الملاك** – في سفر الرؤيا – **يوحنا من أن يسجد لـه مناسبة في تحقيره بقوله عن ذلـك – بحسـب اعتقاده – بأن يوحنا من الكنيسة الحقيقية – التي هي من لحمه ومـن عظامه – فالحرى بهذا الملاك أن يسجد ليوحنا وليس العكس ونسى تماماً** أن الكنيسـة الحقيقية التي يتحدث عنها – أياً يكون شأنها – لن تبلغ إلى مرتبة الإلوهية حتى تسجد لها الملائكة على حد قوله وعليه بالانتباه لأننا وأن كنا أبناء الله وعروس المسيح لكن ذلك لن يخرجنا عن أن نكون عبيداً لله وللمسيح وقد أيد المـلاك ذلـك بقوله ليوحنا: "أنظر لا تفعل. أنا عبد معك ومع أخوتك الذي عندهم شهادة يسوع. أسجد لله. فإن شهادة يسوع هي روح النبوة (رؤ١٩: ١٠) فهل هذا القول يسمح لحضرته بأن يرفع الكنيسة إلى درجة عبادة الملائكة لها لولا اعتقاده بأنها تألهت في المسيح واستحقت العبادة لله – ولذلك وجدناه يتجاهل تماماً حادثة منع بطرس من قبول سجود كرنيليوس لـه بقوله لـه : "قم أنا أيضاً إنسان" (أع

٢٦،١٠:٢٥) (ولـو أنـه أشـار فيما بعد بأن سجود كرنيليوس هذا ليس سجود عبادة بل تكريم) ثم لقد تجاهل تماماً إمتناع بولس وبرنابا عن قبول تقديم الذبائح لهمـا – بعـد اسـتخدام الـرب لهمـا في إقامه مقعد من بطن أمه في لسترا – باعتـبارهما آلهة تشبهوا بالناس مما دفعهما إلى تمزيق ثيابهما وصراخهما في وجـه الجموع قائلين: "نحن أيضاً بشر تحت الآلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا عن هـذه الأبـاطيل إلى الإله الحي" وبالجهد كفوا الجماهير وكاهنها عن الذبح لهما. ولكن سرعان ما انقلب الوضع فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مـات (أعمـال١٤)!! وهـذا يبين نزاهة الرسول في مواجهة هذه التجربة ذات الوجهيـن وهمـا: إما قبول التأليه أو الموت بالرجم.. وقد فضل أن يرجم من أن يتأله لكن الفرق الحديثة المتسترة في شكل مجموعات تنتسب إلى أسماء قادة من البشـر تدعي لنفسها الأبوة بشكل ملفت للنظر وفي هالات من التمجيد الذي يصل إلى إلغـاء شخصية تابعيهم شكلاً وموضوعاً عن طريق سلب إرادتهم وإخضاعهم لأوامـره كيفما تكون – مع أن المفروض في هذه الأبوة إذا ما كانت رحيمة فعلاً أن تكـون الإظهـار العملي لأبوة الله أي حضوره الإلهي وهو إظهار متفوق يجد تطبيقه فيمن يقيمهم الرب آباء روحانيين (١كو١٧،٤:١٥).

لأنه من المستحيل أن يصل التكريم إلى حد العبادة ويقترن بها فيتحول ما لله للبشـر وهكـذا تتحول العبادة إلى المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد (رو١:٢٥).

فهـذه الفـرق تريد أن تتأله دون أن تتعرض لأي أذى لما في ذلك من كرامة ليـس لها نظير، وهي تفعل ذلك تحت ستار "القبلة المقدسة" و "السجود الإكرامي" الذي لا نجد له أثراً محققاً ولا سند من كلمة الله فوآسفاه!!

ولكن هل تتعقل هذه الفرق بأنواعها وتعود للحق الكتابي الأصيل- وخاصة في اخطـر موضـوعات المسيحية ألا وهي "اللاهوت" فتلتزم فيه وفي جميعها حدود الصواب الذي يؤيده المنطق المعقول!! وخاصة وأنها قد حرمت الأتقياء الأنقياء من أي كرامة فهي تتحدث عنهم في أضيق الحدود سواء كانوا من عامة الشعب أو من

خدام الكلمة، **في حين أن القس أمين نصرت يخاطب أصحاب هرطقة إنكار الأقانيم المتسترة تحت عنوان: "يسوع وحده" فيصفهم في كتابه: "أنا والآب واحد" بالأحباء، بل يضع هذا التكريم بشكل ظاهر لأحدهم وهو صاحب كتيب: "تعرفون الحق والحق يحرركم" فيصفه: "بالفاضل الأخ كمال جاب الله"! ألا أنعم واكرم بطريقته الفذة في نسبه الفضل لمن هم هراطقة في حين يمنعنا الكتاب عن قبولهم كلية!!**

في حين أنه تجاوز حدود كل أدب في وصفه لأنبياء الله مثل داود وأيليا فنسب لهما "قلة الأدب وانعدام الذوق" فيما قاله في اجتماع عام ومسمعه من أخذ به وهو مصدر موثوق به تماماً وقد أدلى لنا هذا المصدر بالألفاظ التي نطق بها حضرته فقال: "**عندما سأل أحدهم القس أمين نصرت عن كلمات نطق بها داود معاتباً الرب فكان رده أن داود بقوله هذا كان (سافل وقليل أدب) ثم سأله آخر قائلاً: "أن إيليا قال كلمة مشابهة للتي نطق بها داود فكان رده" أن إيليا أيضاً كان سافلا وقليل أدب وحذر الحاضرين بعدم التفوه بمثل هذه الأقوال لأنها لا تليق بنا كأولاد الله... وهذا كله نتيجة التعالي الفردي النابع من انكار حضور الله في جميع أفراد الجماعة التي ارتبطت بعضها بالوحدة الشكلية.. وهذا هو طريق التجانس بدون نشاز أو خلاف وهو طريق مخترع وغير مشروع!!**

• السجود المزعوم تأليه لمن هم بشر :

لا يفوتنا هنا أن نشير إلى الاختلاف المحتوم بين الكنائس التقليدية التي أضافت كتباً أخرى إلى الكتاب المقدس عُرفت "بالتقليد" وبين البروتستانتية التي قامت على الإنجيل وحده دون أية إضافات كأساس ومرجع العقيدة فحسب!

وجدير بالذكر أن البابوية قررت منذ العصور الوسطى عبادة العذراء ومساواتها بالمسيح في كل شئ بل صوروها بصورة المتدانية القريبة العطوف الحنون التي تشفع فيهم وتصل بينهم وبين المسيح **وحولوا تطويبها إلى مرتبة العبادة والسجود.** وقد أُرسلت برقيات احتجاج للبابا في هذا الشأن لعدم مشروعيته وأنه ليس وفق نصوص الكتاب المقدس ولقد ورد في برقية اتحاد جنوب أفريقيا

للطوائف الإنجيلية في برقيته: "**أن هذه العقيدة الجديدة ما هي إلا خرافة وثنية**"!!

• ضلالة نسطور في مواجهة تأليه العذراء :

لقد نادى نسطور بأن المسيح كان إنساناً عادياً حل فيه اللاهوت بإرادته أي بالمصاحبة لا بالاتحاد الذاتي بين لاهوته وناسوته.. **وكان رد الفعل – عند الأرثوذكس– أن أطلقوا عليها أم النور الحقيقي "والدة الإله"** أي "أم الله" بدون تحفظات وهذا أمر غير وارد في كلمة الله إلا إذاً أضيف لهذا اللقب عبارة "**حسب الجسد**" (رو٩:٥،١:٣) باعتبار أن الذي ولد منها "**الإله المتأنس**" لأنها أم الناسوت فقط، **لأنه من المسلم به أن العذراء لم تلد اللاهوت ولا شأن لها به فهي ليست اقنوماً رابعاً فيه حتى تكون موضوعاً للعبادة والشفاعة** ومن ثم فإن ردهم على نسطور دفعهم إلى هذا التجاوز في التعبير وهو حالياً موضع مساومة عالمية **لأن أطنان من الطلبات طلبت من البابا إعلان ألوهيتها** (ص١٨و١٩ من كتاب: هل تتساوى مريم العذراء بالمسيح للمؤلف)

ولا شك أن مثل هذه المحاولة من أهداف الشيطان الرئيسية لأن إدخال أحد في الثالوث المقدس أياً يكون ليس إلا شرك بالله...

ولذلك منعت العبادة والسجود بالنسبة لأشكال المخلوقات جميعها بما في ذلك الملائكة والعذراء نفسها أعلنت أنها "أمة الرب أي عبدته" وهي التي قدمت تسبيحتها المشهورة التي افتتحتها بالقول: "تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي" (لوقا ١:٤٦،٤٧)

ولكن معظم الفرق المستحدثة وهي مع كافة طوائف المسيحية لم توافق على عبادة العذراء – التي كانت منتشرة في القرن الخامس لدي جماعة سموا أنفسهم بالمريميين واعتبروا العذراء إلهة باسم الزهرة، وقدموا لها الكعك باعتبارها ملكة السموات وسرعان ما قضت عليهم الكنيسة وحرمتهم – والفرق المستحدثة – وهي تعرف ذلك – **وقعت في فخ تأليه "الكنيسة" واعتبارها "الأقنوم الرابع" متخذين نفس النهج باستبدال "العذراء بالكنيسة ولما لا تعبد الكنيسة هنا في ضوء**

الامتيازات العظيمة التي وهبت لها بل تسميتها "بالجسد" بالعروس...الخ.

فماذا يمنع وضع الكنيسة مكان "مريم" وترشيحها لنفس ما رشحت له وهي لم تفعل ذلك على المستوي العام فقط بزعم أن نعبد الرب في الجماعة كلها لحلوله فيها بل تجرأ عدد منهم إلى تقديم العبادة على المستوى الفردي لمن اعتبروا "آباء" و"قادة" وإنما اخترعوا عبارة "السجود التكريمي لتغطية الموقف، مع أن ذلك خروج عن المكتوب ووقوع في حق الله تعالي الذي وحده يستحق السجود والعبادة مع ابنه الوحيد!!

ولو أنهم لا يظنون عن الكنيسة بأنها "أقنوم رابع" وأن السجود المقدم لمن في داخلها عبادة وإنما يغطون على ذلك بالقول بأنه مجرد "تكريم"!!

كل ما في الأمر أن هذه الفرق المستحدثة – وخصوصاً التي تمارس ما ذكرناه – لا يملكون لا في أفرادهم ولا في مجموعهم الشجاعة لينطقوا بما يعتقدونه علناً وإنما هم ينطقون بعبارات قريبة من ذلك ويستندون في تفسيرها لما يعثروا عليه من الأقوال المقدسة تفسيراً حسب المعني الظاهري – الغير مترابط مع المعني الكلي لحقائق الكتاب المقدس ليستروا به ما ذهبوا إليه إمعانا منهم للخروج عن التعاليم الصحيحة المتفق عليها بالإجماع وخاصة في اللاهوت مع أن ما يتمسكون به ويظنون أنه نور جديد يخصهم وحدهم لا يمت للمسيحية بصلة...!!

• **لمن إذاً السجود ومن الذي يستحقه :**

يكفي أن يقال هذا أن السجود والعبادة لله وحده هي أول وصية في الناموس وردت في (خروج٢٠:٣) "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" أي تضعها قدامي فتحرمك من عبادتي وقد تكررت في (تثنية٥:٧) وذلك يكشف عن أهميتها القصوى والتي تؤكد بأن العبادة هي لله وحده لأنه خالقنا وعبادة خلائقه له من حقه ولمسرته... ولذلك فإنه من الطبيعي جداً أن يطلب الله عبادتنا ويجعلها واجبة علينا لأنه يستحقها دون مشاركة أحد له في ذلك وخاصة أن الهدف منها تمجيده

... ولمـــا كـــان الله روح فهو طالب ساجدين لـــه بالروح والحق – على أن تكون عـــبادتهم أيضـــاً عقلية **وهذا يمنع بطبيعة الحال كل عبادة أخرى أياً يكون نوعها ولذلك كان ختام رسالة يوحنا الأولي هو "التوصية بالحفظ من الأصنام"!!**

هـــذه وقد ورد في كتاب "التثليث والتوحيد" دفاعاً مجيداً من خالد الذكر القمص ســـرجيوس رداً على أقوال المخالفين الجارحة التي تتهكم على المسيحيين لعبادتهم لاين الله الوحيد ربنا يسوع المسيح بقوله: **"أمـــا عن عبادة المسيحيين للمسيح كإله فأنهـــا ليست بالأمر المستحدث بل هي عبادة قديمة العهد لأنهم يعتقدون بألوهية المسيح ويؤمنون بتجسده لأجل خلاصهم فيعبدونه...**

أمـــا ســـجودهم للأقـــانيم الثلاثة (الإلهية) فإنما هو باعتبار توحدها في الذات الأحديـــة فهـــو ســـجود لله الواحد المنفرد في ألوهية والمتوحد في ربوبية جلّ عن الشـــريك والنظير.....فائق الجوهر غير مدرك ولا مرئى ولا متغير، وأنه في ســـبيل معرفتنا به كان اتصاله بنا بواسطة التجسد أمر لابد منه – لأنه بهذا التجسد اســـتطاع الله أن يجعـــل جوهره غير المحسوس ولا المرئي محسوساً ومرئياً وفي الوقت نفسه بقي كما هو غير محسوس ولا مرئي ولا مدرك...!!

وأصبح المسيح بذلك أية استعلان "الألوهية" حتى وصف بحق بأنه "عمانوئيل" الذي تفسيره "الله معنا"!!

• • •

الهيكل الأبدى المغطى بالحضور الإلهي

• انتهاء الهيكل القديم بانشقاق حجابه وقت الصلب :

برهاناً على أن ذلك الهيكل لم يعد وسيلة المثول في حضرة الله بعد أن حل محله "جسد المسيح الطبيعي الموصوف بأنه "هيكل جسده"- **الذي صار بسبب حلول اللاهوت فيه الهيكل الحقيقي الوحيد الذي تم فيه التلاقي مع الله باتصال أبدي لا انفكاك فيه ولا تغيير...**

قيل في علم مقارنة الأديان عند الاعتراض على تسمية المسيح "بابن الله"، بأنه لا يمكن للعبد أن يكون رباً ولا يمكن أن يكون المخلوق خالقاً – **ونحن المسيحيين نقر بأنه لا يجوز أن يضم جزء إلى الله من خلائقه ولكن في عقيدتنا أن ذلك لا ينطبق على العلاقة القائمة بين الآب والابن لأن الابن ذو جوهر واحد مع الآب – وضم جزء من مخلوقات الله إليه ليس وارداً في شأن المسيح** (ص٣٠ من كتاب من هو يسوع المسيح للمؤلف) ولذلك فإنه ليس هناك كفء له **لأن كل ما عداه مخلوقه فلا يساويه، وذلك لأن بنوة المسيح هي من ذات الله في ذات الله لصلة ذاتية في الله فهي بنوة أصلية غير مكتسبة أزلية في ذات جوهر الله** (ص٣٢) وقد سبق أن عرفنا كيف بذلت محاولات لمساواة العذراء به ولكنها لم تحقق مأربها ولا استطاع أحد أن يرفعها إلى منزلة "الألوهية" لأن ذلك إهانة لجلال الله القدوس **الذي يستحيل أن تتحد به الخلائق اتحاداً ذاتياً إذ شتان بين الخالق والمخلوق حتى لو قيل أن القياس هنا مع الفارق،...**

أما بالنسبة للمسيح بوصفه ابن الله الوحيد فإنما ذلك فيه بالصدور السرمدي منه في الوجود الإلهي المطلق – **فهو ليس إذاً بجزء مضاف إليه لا من قبل التجسد ولا من بعده!!**

ومن ثم فإنه ليس هناك ذاتان واحدة لله والأخرى للمسيح بل ذات واحدة إلهية هي التي تجسدت وهذا بعيد كل البعد عن مذهب الحلولية الذي يعتقد أصحابه

بأن الله يحل في كل الأشياء ومن ثم فإن الله والكون واحد...

ولكن المسيحية لا تقول بذلك ولن تقبله **لأن تأليه مخلوق مع الله أياً يكون هو شـرك وكفـر – ومن المعلوم أن المسيحية لا تعلم بالشرك ولا بتعدد الآلهة ولا بعـبادة البشر بدليل قول المسيح نفسه: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"** (متى ٤: ١٠).

وثالوثـه لا تعـدد فيه ولا افتراق والقول بغير هذا كله إنما هو كفر محض لا يليق باللاهوت المسيحي ولا بعقل الإنسان...!!

ويلزمنا هنا **أن نكف عن الطرق المستحدثة في العبادة وكذلك ينبغي أن نكون حذريـن مـن الانقياد إلى نظام معين يستهوينا دون أدراك لأعماقه ومخاطرة بل ينـبغي أن ننقاد بمسحة الروح الحقيقية** التي تعلمنا عن كل شئ لأن الروح نفسه هـو الـذي يرشد إلى جميع الحق – وما سجودنا الصحيح سوى هتاف قدام الرب الملك يعلن الحب والطاعة والخضوع لسلطانه!!

• •

• بطلان اتحاد جسد الرب الحقيقي بجسده الانتسابي :

فإذا ما عدنا لجسد الرب المبارك فإننا نجد بأن جسد المسيح الطبيعي **هذا ليس بعـد هـنا على الأرض لكنه في السماء متمجد بمجد عظيم:** وهنا ينبرى كيرلس الكبير في كتابه "الكنيسة جسد المسيح ص١٦ ليقول لنا: **"لقد توارى (المسيح) عن أنظارنـا يـوم صعوده ولكنه بقى في وسطنا في الكنيسة"** – فلماذا لا يحذو القس أمين نصرت حذوه وبصورة أنكي واشد بقوله عن نبذته الوداعية ص٥: **"أننا نؤمن بالكنيسـة الحقيقيـة... أنهـا هي جسده هي امتداد تجسده... أي استمرار هذا التجسـد وإعلانه... بمعني أنه في ملء الزمان... اتخذ لنفسه جسداً من القديسة العذراء مريم إذ وُجدت حبلي من الروح القدس... وفي يوم الخمسين اتخذ لنفسه جسـد بالروح القدس من أولئك الذين توحدت قلوبهم بالروح القدس وهذا الجسد مـتحد بالجسـد الذي قام من الأموات لأنه رأس الجسد الكنيسة. وهذا طبعاً على أساس تجسده وموته وقيامته.**

تـــرى من قال هذا ومن يقوله سوى القس أمين نصرت، ولكننا لا ندرى من أي مصـــدر اســـتقاه وهـــا هو يربط بين الجسدين الذين للمسيح: جسده الطبيعي (ناسوته) وجسده السرى (الكنيسة) ومن قال بهذا الربط الاتحادي سواه – ولسنا نـــدرى مـــاذا يكون معناه ونتيجته هل صارت الكنيسة جسد المسيح الحرفي الذي صـــعد بـــه إلى الســـماء أم أن جسده الحرفي تلاشي وانتهي وأصبح هو الكنيسة بعيـــنها – حقاً لم يبق لحضرته سوى قبول الأفخارستيا التي جعلها كيرلس الكبير جســـداً ثالثاً للمسيح وبعد أن فرق بين هذه الأجساد الثلاثة تحت تسميات ١- جسد المسيح الشخصي ٢- جسد المسيح الأفخارستي ٣- جسد المسيح الجماعي الذي هو الكنيسة ص٨ من كتابه عاد فيما بعد ذلك بخلطهم معا متصوراً بحسب ما اعتقد أن جسد المسيح الحقيقي الحرفي يحل في القربان والكأس حلولاً واقعياً ومن بعده فإن مـــن يتناول الأفخارستيا يأكل المسيح حرفياً وبذلك يصير عضو في الكنيسة التي اتحدت به ومن ثم فإنها تقبل اللاهوت في كيانها كما قبله هو!!

ألا أنعـــم وأكـــرم بهـــذه التفاسير التي تخلط المفاهيم لغرض سيئ وهو إدخال الكنيســـة في اللاهوت، وهذا أمر شبيه إلى حد ما بمحاولات تأليه "مريم العذراء" كل ما في الأمر أنها تستبدل بالنسبة لهذه الفلسفة الحديثة بالكنيسة!!

ولا أرى رداً في هذا المجال أفضل مما قاله القس أمين نصرت نفسه في فاتحة كـــتابه أنـــا والآب واحـــد (ص١) ونصه: ... جاء اتباع كل بدعة باسم عصري وانطـــلت تعبيراتهم على البسطاء... وفتحنا لهم الطريق دون أن ندري ببساطتنا وعدم وعينا.. وبتعبيراتنا الساذجة.. الغير محكمة لاهوتياً واهتمامنا بالكرازة دون التعـــليم.. وقـــد عـــاد فكـــتب في ص٢ كلاماً أروع بقوله: "هذا رغم أن الفلسفة واللاهـــوت متعانقان وليس متخاصمين كما يتبادر لأذهاننا لأول وهلة! إما إن كنا نرى حرباً... هنا يرجع لأن اللاهوتيين قد صادروا الإنسان قبلاً.. صادروه لحساب الألوهة". ولكن الفرق المستحدثة لم تكتف بذلك بل تجاوزته الى التأليه بعينه!!

• الكنيسة الهيكل الروحى فى العهد الجديد :

على أن ما سبق بيانه لا ينفي أبداً أن الرب الذي جعل جسده الحقيقي هيكلاً حل

فيــه لاهوتــه بغير حصر أو تقييد، قد جعل من جسده السري الكنيسة هيكلاً مقدساً ينمو في الرب... مسكناً لله في الروح **وذلك ليس على مثال اتحاده الذاتي السابق ذكره مراراً، وإنما لمجرد أن يتجلى فيه حضوره الروحاني في شكل محسوس...**

وهكــذا أصبحت الكنيسة "هيكل الله" وليس هياكل كما يقتبسون مع الأسف، **بل هيكل واحد روحاني هو هيكل العهد الجديد** الذي حل محل الهياكل المادية الأخرى **التي قام القس أمين بالخلط بينها بأن جعل الهيكل القديم المادي هو بعينه بيت الله الروحي حاليا فوآسفاه!!**

وباعتــبار أن الكنيسة الآن هي "هيكل جسده السري" **فأن ذلك ليس لكي تتأله معــه وإنما فقط ليظهر فيها حضوره الحي دون إحداث أي اتحاد ذاتي كالذي بين اللاهوت والناسوت!!**

هــذا الهيكــل الــروحي الحالي هو بعينه الذي سيظهر في أورشليم السماوية الجديدة لأنه هو المشار إليه في سفر الرؤيا بمسكن الله مع الناس **والمقصود بالناس هــنا "الكنيسة الحقيقية" "العروس"** وهذا هو مسكنها الحقيقي الذي سيكون لها أبدياً بعد تجاوز حدود الزمان – **وهذا الإعداد يبدأ من هنا بالشركة الروحية الدائمة** بين المؤمنين بحق بسكني الروح في كل منهم التي هي رباط وحدة الكنيسة حتى أننا قلنا بتأكيد: "أن وحدة الكنيسة إنما هي قائمة بالروح القدس في المسيح أمام الله" **ولكنها وحدة محدودة لا مطلقة كاتحاد اللاهوت بالناسوت!!**

• تحويل هذا الهيكل الروحي إلى هيكل أبدي :

ونعــلم مــن الواقع المحسوس أن هذا البناء المركب ينمو معاً هيكلاً مقدساً في الرب ونراه في تقدم تدريجي ولكنه لن يتم إلا عند جمع كل المؤمنين الحقيقيين معاً فيه – وذلك الجمع إنما يتم بالروح القدس!!

وهو يجرى الآن بدون توقف وبغير أن يتخلف عنهم أي شخص أمين أو يندس فيهم أي شخص غير مؤمن حقيقي – وإن كانت الكنيسة الحقيقية غير منظورة من الــناس الآن هــنا على الأرض، **إلا أن ظهورها سيتم في وقته باعتبارها الهيكل الأبدي وهو لن يُرى بتمامه إلا بعد انتهاء عملية البناء تماماً...!!**

هـذا هو بناء الله الذي يقوم المسيح ببنائه من الحجارة الحية التي يقوم الروح القدس بإعدادها وربطها معاً بما لا يقبل الانفكاك أو الانفصال بإيجاد التلاصق بينها بـالحب الإلهي الفائق – ومن ثم فإنه من المستحيل أن يتعطل نمو هذا البناء بسبب جهل الإنسان أو حيل الشيطان!!

أمـا نمـوه فـلا يلزم أن يكون في الحجم وإنما يتحتم أن يكون في الروحانية باعتـباره كيانـاً حياً – **وهو يتقدم في نموه بثبات إلى أن يبلغ كماله بدون مظهر خارجي** فيما عدا دلائل النمو الداخلي التي لا يفهمها سوى الذهن الروحي المستنير ... وعـندما يـتم هذا البناء بحسب فكر صاحبه والمشرف على **تنفيذ خطة إقامته فإنه لابد أن يظهر علانية** بفخامته التي سيكون عليها حينئذ كالهيكل الأبدي والذي سيصبح عندئذ وحده قبلة أنظار سائر الكائنات التي ستكون في السماء الجديدة ومنها مـن سيسكن الأرض الجديدة فتتطلع منها إلى هذا الهيكل مسكن العروس ومقرها الدائـم وهـو بعيـنه الذي يطلق عليه "أورشليم الجديدة المقدسة" عاصمة الملكوت الأبـدي ويوحنا يقرر بأن هذه المدينة هي "العروس" لأن هذا الوصف يطلق على المدينـة وعـلى سـكانها فـي آن واحد وستصبح بموقعها وأمجادها مركز الكون الجديد!!

• سبب عدم إطلاق اسم الكنيسة العروس على هذا الهيكل الأبدي :

ولكن يبقي هذا السؤال الأخير الذي يختتم به هذا البحث الفريد وهو: "أزاء كل ما تقدم **ألا تكون الكنيسة قد تأهلت لأن تتأله إذاً وتُعبد مع المسيح" ولماذا لا يكون الأمـر هكذا كما يتراءى للمحدثين** بأننا عندما نبلغ الكمال النهائي سنكون مثله أي ليس في مشابهة أجسادنا لجسده **ولكن بتحولنا إلى آلهة نُعبد معه!؟ وأنا أقول عفواً استغفر الله فإن الذي يمهدون له من الآن باطل وعاطل إذ كيف نصبح آلهة لا في الـزمان ولا في الأبدية** في حين وجد من يقول بيننا بأن "الابن نفسه سينهى نظامه التوسـطي – على حد قوله – وسوف لا يعبد ولا يسجد لـه في الأبدية وبذلك هم يفكـون اتحـاده الذاتـي الذي يربط لاهوته بناسوته **ويضيعون من المفديين** متعة

رؤيـــتهم لفـــاديهم الحبيب إذ أنهم لق يجدونه إنساناً يمثلهم فيما بعد كالوسيط الوحيد والشفيع الكفء المجيد!!

ويكفيـــنا دليـــلا على بطلان هذا الزعم الباطل أنه بالرغم من كل الأمجاد التي أعطاها المسيح للكنيسة بل وطلب من الآب أن يكون المؤمنين الذين أعطاهم له معه ليـــروا مجده...الخ **فإن الهيكل الأبدي هذا لم يطلق عليه "هيكل الكنيسة العروس" مثلاً أو شيئاً من مثل ذلك بل كما ورد بالنص الذي جاء في رؤيا ٢١: ٢٢ القائل: "ولـــم أر فيهـــا (أي فـــي المديـــنة) هيكلاً لأن الرب الله القادر على كل شئ هو والخـــروف هيكـــلها"** وهذا يعني أن الكنيسة – العروس – التي سيكون مقرها في المدينة **مع أنها هي هنا الهيكل الأبدي لكنها لن تظهر فيه بهذا الاعتبار لأن الهيكل نفســـه – بحسب تسميته الصحيحة هو "هيكل الله والخروف" الحمل المبارك الذي افـــتدانا، ومعـــني ذلك أنه كما كانت حجارة هيكل سليمان مغطاة بالأرز (الذي هو رمـــز للمسيح في قيامته) هكذا ستكون الكنيسة مغطاة بمجد الحضور الإلهي فلا تظهـــر هـــي نفسها أمام نفسها ولكن يظهر فيها مجد الله عن طريق الرب يسوع فاديهـــا وعريسها** وفي ذلك نشاهد اختفاء النفوس المفدية التي تتكون منها الكنيسة ومنها من الظهور الذاتي وذلك لإظهار مجد الذي دعاها بهذه الدعوة السماوية إلى مجده الأبدي **وأيضاً حتى لا يكون هناك أي ظهور للمخلوق.**

وجدير بالذكر في الختام أنه لهذا السبب **وحفاظاً على أفراد الكنيسة من دخول كبرياء التأله في أفرادها** – وهذا هو فخ الشيطان وتعييره – حتى في السماء عينها وقد كان لوسيفر فيها من قبل سقوطه منها – **وصفت الكنيسة هنا في الأبدية بلفظة "الـــناس" فـــي القـــول الذي سبق ذكره في النص الوارد في رؤيا٢١** والواصف للمديـــنة: "بأنهـــا مهيـــأة من عند الله كعروس مزينة لرجلها" ونتابع فنجد القول – وســـمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: **"هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون لـــه شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم"** (العددين٣،٢) فهل بعد هذا كله الذي ذكرناه يكون هناك مزيد من الإيضاحات لتنزيه الذات الإلهية حقاً

إن فـــي كـــل مـــا ذكرناه الكفاية لمن يريد الاقتناع أن الذي يتبع طريق الغواية و يسعي في اتجاه جعل طلب التأله من الأغراض الأساسية لاهدافه المستحدثة فإنما يخـــدع نفســـه ولا يخشـــي عليها من سوء المصير!! واستخلاصا وتحديداً نهائيا للموقف ألا يكفى الكنيسة على حساب نعمته انها متسربلة بالشمس (وهو شمس البر الرب يسوع المسيح) أى انها تلبسه تماما فيتجلى نوره فيها ويكون ذلك مثار اعجاب لدى الخليقة كلها – نقول الآ يكفيها هذا مع التغيير المنشود المرتقب الذى سيحير العقول لولا انها ستتغير مع العيون وباقى الجسد بكامله عند القيامة – أفلا يكـــون ذلـــك كافيا وهو رفعة معقولة ومتاحة حسب كلمة الله وكرم الرب يسوع المـــلك السمائى – نقول الآ يكفيها هذا فيكون موضع سجودها وتعبدها أمام الذى مـــنحها الرفعة السمائية دون حاجة لبدعة الفرق المستحدثة فى عصرنا الممتلىء بـــالمذاهب المـــنحرفة وخاصـــة تلك التى تسعى باسلوب مغطى خفائى إلى تأليه الكنيسة ومساواتها بالمسيح بل وادخالها فى الثالوث كاقنوم فيه فوآسفاه. ولكننا بنعمـــته ســـنثبت فى الحق ونرعى حدوده باقصى الجهد فى اعلانه والدفاع مهما كلفـــنا ذلك وأيا تكون كراهية المبتدعون لهذا الموقف النبيل والمشّرف لله ولابنه يسوع المسيح والذى يدخل ضمن الشروط الأساسية التى تضمن لمن يقبلها مكانة فى "الفردوس" عند إنتهاء الحياة الحاضرة واستخلاصا وتحديدا نهائيا للموقف آلا يكفى الكنيسة ما ينتظرها من تغيير عتيد الحدوث مما سيكون لها فيه رفعة متاحة ومعقولـــة حسب كلمة الله وكرم الرب يسوع الملكَ السماوى عريسها الأبدى دون حاجـــة لـــبدع هـــذه الفـــرق المستحدثة والتى تسعى باسلوب خفائى ينطلى على البســـطاء ومـــا أكثرهم غلى تأليه الكنيسة ومساواتها بالمسيح فوآسفاه – ولكننا نحن المؤمنين الحقيقيين شاكرين الفضل لأجل انتظار راحتنا عند الانتقال الآن إلى فـــردوس النعيم ثم ظهورنا فيما بعد فى الملكوت الأبدى بما سيكون مثار إعجاب ودهشة الخليقة كلها!! حيث الراحة الأبدية الدائمة عند ابتداء الأبدية!! وفى كل ما سردناه فى هذا الكتاب الكفاية لمن يريد الاقتناع.

تم هذا البحث بمعونة الله أوائل مايو ٢٠٠٣

المراجع

١- شهادة شهود عيان ومحاضر جلسات اللجنة العامة لمجمع الله الخمسيني.
٢- كتابات تمس موضوع البحث للقس أمين نصرت.
٣- كتاب "الكنيسة جسد المسيح" لكيرلس الكبير"
٤- إيضاحات لاهوتية في المختار الخمسيني للقس بطرس لبيب.
٥- مذكرات في مادة البحث كلية اللاهوت الإنجيلية.
٦- اللاهوتيات وحقيقة الثالوث للمؤلف.
٧- لمحات نورانية في أسرار الألوهية للمؤلف.
٨- الألوهية من وجهة نظر المسيحية للمؤلف.
٩- سر التجسد الإلهي للمؤلف.
١٠- سر الإثم في كتاب "مسحاء كذبة" للمؤلف.
١١- سر الأفخارستيا للمؤلف.
١٢- هل تتساوى مريم العذراء بالمسيح للمؤلف.
١٣- بناء الهيكل الأبدي للمؤلف.
١٤- شرح يوحنا وأقنس للأب متى المسكين.
١٥- شرح يوحنا وأقنس والرؤيا للقس إبراهيم سعيد.
١٦- شرح رسالتي يوحنا الأولي والثانية لباركلى وآخرين.
١٧- بحث في نشأة الإنسان جريدة الأهرام.
١٨- كتاب "الله" للعقاد.
١٩- كتاب "معاً على الطريق" لمحمد خالد.
٢٠- المقالة الأولي ضد الأريوسيين لأثناسيوس.
٢١- الحيوانات الحاكمة (شرح دانيال) للقس لبيب ميخائيل.
٢٢- الجنس في معناه الإنساني لكوستى بندلى.
٢٣- نشرة عبر الأجيال لماكس ميشيل.
٢٤- نشرة أنا فيهم للشيخ لطيف فهيم.

فهرست المحتويات بالتفصيل

	صفحة
الإهداء :	٣
تقديم :	٤
الفصل الأول : طريق معرفة الحق الكتابي	٨
تمهيد عن طلب المزيد من العمق والرؤية	٨
موقف الإيمان الصحيح من الحق	٩
معرفة الحق أمر ميسور لكل نفس	١٠
الفصل الثاني : وجوب الوقوف عند حد معلوم من التفسير	١٢
موجز عن تاريخ التفسير ومناهجه	١٢
منشأ وأصل الضلالات	١٣
شرح طريق التفسير الصحيح	١٤
الفصل الثالث : بحث في الصورة والشبه والمثال	١٦
وصف الصورة والشبه	١٦
تعريف بالصورة ومفهومها	١٧
الصور الثلاث التي لربنا يسوع المسيح	١٩
المعنى الشارح لخلق الإنسان على صورة الله كشبهه	٢٠
الفصل الرابع : أسرار مستحيل إدراكها بوجه مطلق	٢٦
الأسرار ظاهرة عامة	٢٦
سر خلق العالم ونشأة الإنسان	٢٨
سر الثالوث الأقدس	٣٠
سر التجسد الإلهي	٣٢
سر اقتران المسيح بالكنيسة	٣٩

صفحة

الفصل الخامس : الألوهية المكتسبة – معناها ومداها ٤٩

أصل الشر وبداية سر الإثم ٤٩

التأله أو التأليه خطورة مهلكة ٥١

شرح النصوص التي تحدثت عن الألوهية المكتسبة ٥٥

الفصل السادس : تفرد المسيح باتحاد اللاهوت بالناسوت فيه ذاتيا ٥٩

ضرورة التفرقة بين الحلول والامتلاء – ٥٩

القـس أمين نصرت يقدم لنا شرحا جديداً في موضوع حلول اللاهوت في الناسوت ٦٣

التفسير المنضبط لعبارة "شركاء الطبيعة الإلهية" ٦٥

الفصل السابع : نوع ومجال الوحدة في يوحنا ١٧ ٦٩

إعلان الوحدة في يوحنا ١٧ ميدان مشاحنات ٦٩

الوحدة في نظر القس أمين نصرت والتي يصفها بأنها لا تمس التنزيه ٧١

المعني الحقيقي لآية يوحنا١٤:٢٠ ٧٣

شرح المعاني الصحيحة لأنواع الوحدة الواردة في يوحنا ١٧ وهي: ٧٦

وحدة وقائية ٧٧

وحدة اكتمالية ٧٩

وحدة تجميعية ٨٣

وحدة انتسابية ٨٦

الفصل الثامن : تحديد وضع الكنيسة بالنسبة للمسيح ٨٧

الكنيسة جسد المسيح ٨٧

الكنيسة وهل هي امتداد لتجسده ٩٠

الكنيسة وهل هى ملء الذي يملأ الكل في الكل ٩٢

القران الروحي في الالتصاق بالرب ومعناه ٩٨

صفحة

الفصل التاسع : جسد المسيح في معانيه الثلاث	١٠٣
جدل مثير حول تعدد ما يوصف بأنه جسد المسيح	١٠٣
منهج كيرلس في توحيد للمعاني الخاصة بجسد المسيح	١٠٣
القس أمين نصرت يتابع لحد كبير منهج كيرلس	١٠٦
الرد على متاهات التغير بالنسبة لجسد المسيح	١٠٧
الفصل العاشر : هل يجوز السجود لغير الله	١١١
السجود في جماعة الرب وهو يحتوى على ثلاثة أخطاء	١١١
في معني العبادة والسجود	١١٤
أسانيد السجود للبشر ووصفه بالاحترام والتكريم	١١٥
لا سجود للبشر في العهد الجديد	١١٦
ضلالة تسطور في مواجهة تأليه العذراء	١١٩
فلمن إذاً لسجود ومن يستحقه؟	١٢٠
الفصل الحادي عشر : الهيكل الأبدي المغطي بالحضور الإلهي	١٢٢
انتهاء الهيكل القديم بانشقاق حجابه وقت الصلب	١٢٢
بطلان اتحاد جسد الرب الحقيقي بجسده الانتسابي	١٢٣
الكنيسة الهيكل الروحي في العهد الجديد	١٢٤
تحويل هذا الهيكل الروحي إلى هيكل أبدى	١٢٥
سبب عدم إطلاق اسم "الكنيسة العروس" على هذا الهيكل الأبدي...	١٢٦
المراجع :	١٢٩

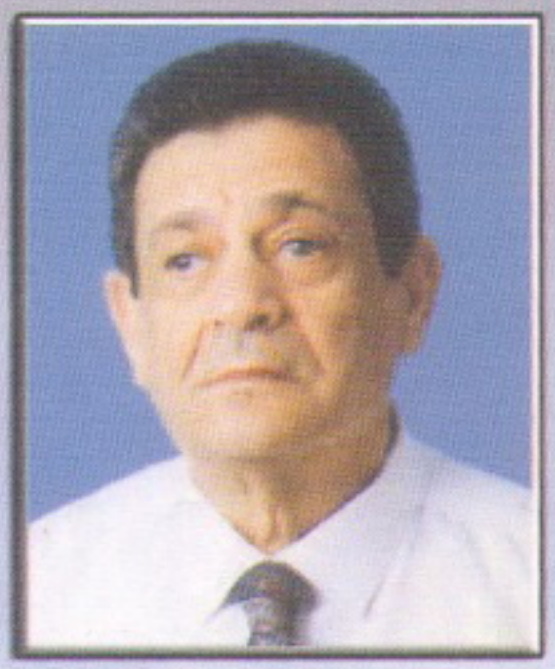

هذا الكتاب

هو أول كتاب من نوعه في اللغة العربيةيفسر قضية (التنزيه والتشبيه) بالنسبةللذات الإلهية في المسيحية، ويعطي بينهما توازناً عجيباً ودقيقاً وصحيحاً في اللاهوت المسيحي مما يستوجب على كل مسيحي الوقوف عليه بل وعلى من يشاء ممن تحدوهم الرغبة الصادقة في معرفة حقيقة إيمان المسيحيةفي (الله) على الوجه الذي جاءت عقائده وتعاليمه الصادقة في الكتاب المقدس إعلان الحق المعصوم.

ومن المؤكد إذاً أن هذا التفسير القديم الذي هو كعنوانه: إيضاحات استلزامية في تنزيه الذات الإلهية، إنما هو مقدم للجميع بسطاء وفهماء مبتدئين في المعرفة وعلماء وهو يشترط فقط الذهن المفتوح والتخلي عن مواقف التحيز والتعصب المعتادة والتي يتمسك بها دائماً (أهل البدع والهرطقات).

ولقد كان السبب المباشر لإصدار هذا الكتاب انكشاف وجود ظاهرة السجود للقادة الذين يطلق عليهم حالياً (آباء) وكذلك سريان هذا الحال بعينه في اتجاه فردي وجماعي ومحاولة تغطية ذلك بعبارات منمقة غير كتابية تدفع آيات الكتاب إلى التمييع والخروج عن معانيها الصحيحة!!

واضح من ذلك تماماً أن موضوع هذا البحث ليس هو مجرد التعرض لظاهرة السجود للبشر بل الكشف عن محاولة خادعة بمهارة لمن ينقادون إليها لتأليه (الكنيسة) والانتفاء الباطل بأنها خرجت عن بشريتها لتنزيه الإله العظيم الذي يتعبد له المسيحيون وذلك نفياً للشرك والتعدد والخروج عن التوحيد الصحيح!! وإظهار اللاهوت المسيحي على حقيقته لقطع دابر الهرطقات وذلك لإثبات حقيقة الإيمان المسيحي في اللاهوت في حدوده الصحيحة وفقاً لنصوص الكتاب المقدس في ضوء تفسيره الدقيق والعميق - ومن ثم فهو مما لا يمكن لأي باحث نزيه أن يستغني عنه بأي حال من الأحوال!!

الثمن ٥ جنيهات